عليهم السلام
أهل البيت

مقامهم، منهجهم، مسارهم

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي

أهل البيت عليهم السلام

مقامهم، منهجهم، مسارهم

اسم الكتاب: أهل البيت عليهم السلام مقامهم، منهجهم، مسارهم.

التأليف: لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ.

الناشر: رابطة الثقافة و العلاقات الإسلامية

مديرية الترجمة و النشر

الطبعة: السادسة، ١٤١٨ هـ ق - ١٩٩٧ م.

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران/ طهران.

ص.ب ٦١٨٧/ ١٤١٥٥

ISBN 964-472-072-5

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

المقدّمة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

أهل البيت عليهم السلام مدرسة مضيئة ونجوم متألقة في سماء الاسلام العظيم فهم القدوة الشامخة التي اقتدت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نهلوا من علمه، ونشأوا في بيته، وساروا علىٰ نهجه... يدعون إلىٰ كتاب الله والاعتصام بسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ويضربون في سلوكهم الأمثال السامية للأمّة، يدعون إلى الحق ولا يحيدون عنه قيد أنملة، إنّهم كما يوضّح لنا الحديث الشريف قُرناء القرآن، لا يفترقون عنه، لأنّهم المصداق الأمثل لكل ما حمل القرآن من مفاهيم وقيم، ولذا نزل فيهم القرآن صريحاً:

﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾.

(الأحزاب / ٣٣)

ولكثرة ما نزلت في أهل البيت عليهم السلام من آيات، وما نطقت فيهم من أحاديث صريحة ـ ذكرنا بعضاً منها في متن الكتاب ـ فإنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا عبر التاريخ مهبط قلوب المسلمين في مختلف العصور والأمصار، يفدون إليهم لينهلوا من علومهم ويستزيدوا من أنوار معارفهم.

إنّ من يدرس تاريخ أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم العلمية يعرف الدور الطليعي والمهمّة الكبرى التي نهض بها أئمة أهل البيت عليهم السلام .. فقد عملوا

وكافحوا من أجل الحفاظ على نقاء الشريعة والذود عن أصالة العقيدة الاسلامية، فضحّوا بأنفسهم وجاهدوا من أجل تطبيق تلك المبادئ السامية وقيادة الأُمة على هديها..

وفي كل يوم يبرز تاريخ أهل البيت عليهم السلام المجيد حياً معطاء، يتفاعل مع وجدان الأُمة ووعيها، ويغني مسيرتها، ويرفد حضارتها..

إن أهل البيت عليهم السلام هم المحور والإطار الجامع لوحدة الأمة وجمع شملها..

وفي هذا الكتاب الموجز حاولنا أن نعرّف ببعض الجوانب من حياة أهل البيت عليهم السلام وما يتعلق بمقامهم ودورهم التاريخي..

وإنّنا في الوقت الذي نقدّم هذا الكتاب الموجز للتعريف بمنهج أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومسارهم.. نحثّ أبناء الاسلام على الاستفادة من هدي أهل البيت عليهم السلام، والعمل به، والاجتماع حول هذه الطليعة الرائدة، والاقتداء بها.. والوقوف صفاً واحداً بوجه المخربين الذين يسعون لتفريق كلمة المسلمين وتمزيق وحدتهم، في وقت تخوض فيه أُمتنا الاسلامية كفاحاً عنيفاً ضد الاستعمار والشيوعية والصهيونية من أجل تطبيق الرسالة الاسلامية، والعيش في ظلال العدل الإلهي.

وأن تتوجّه طاقات هذه الأُمة للدعوة إلى الاسلام والدفاع عن مقدّساته وتفويت الفرصة على الذين دأبوا على زرع الشقاق وبث السموم الطائفية بين أبناء المسلمين..

فيا أُمّة محمّد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، ويا أحباء أهل البيت عليهم السلام عليكم بالوحدة والاتحاد فإنّ هذه أُمّتكم أمّة واحدة، وإنّ عزّتكم وكرامتكم لا تتحقّق إلّا بالالتزام برسالة الاسلام، والعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُه وَالمُؤْمِنُون﴾.

المدخل

أهل البيت عليهم السلام ذلك العنوان المضيء، والمجد الخالد، والاسم المحبّب لكل نفس أحبّت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآمنت به وسارت على هداه، فقد عرف المسلمون هذا العنوان الشامخ في سماء التاريخ والمجد المتألّق في أُفق القرآن العظيم، منذ أن نطق الوحي بهذه التسمية المباركة، ومنح تلك الكوكبة الرائدة هذا اللقب الفريد في دنيا الإنسان:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(الأحزاب / ٣٣)

وبنزول هذه الآية المباركة تحدّد مسارٌ ومحورٌ واتجاهٌ داخل الحياة الإسلامية، وجّه القرآن الأنظار إليه، وسلّط الأضواء على موقعه الطلائعي الرائد وأبرز دور أهل البيت في حياة الأُمّة الإسلامية، وخصّهم بإرادة التطهير المؤكّد من لدن الحكيم الخبير.

إنّ لهذا الحدث العظيم لمعنى خاصّاً في حياة الأُمّة، وصُنع تاريخها وبناء حضارتها، يعرفه الباحثون والمحقّقون في مجال العلوم والمعارف الإسلامية، وفي ساحة الحياة السياسية لهذه الأُمّة.

لقد حدّدت هذه الآيات مركزاً لحركة التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفق العرف والمنطق الإسلامي، بعد أن وهب الله هذه الصفوة المباركة صفة التطهير من الذنوب والمعاصي والآثام، فقد ثبّت القرآن لهم أفضل درجات التفضيل، وأعلى مراتب الأهلية في الاقتداء والقيادة والريادة في الحياة الإسلامية التي ترى وفق فلسفتها العامّة في الحياة:

﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. (الحجرات / ١٣)

إنّ من يستقرئ القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة يجد لأهل البيت النبويّ الشريف مقاماً خاصّاً وموقعاً متميّزاً، تحدّث عنه أئمة هذه الأمّة، وعلماؤها، ومفسّروها، ورواتها، وأصحاب السّير، ومؤرّخوها، وفقهاؤها، وعبّادها العارفون فيها من كل الاتجاهات والمذاهب.

إنّ كتب الحديث والسير والتفاسير، وكتب الأدب والشعر والمناقب، التي ألّفها المسلمون بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، قد أبرزت مكانة خاصة، وموقعاً هامّاً لأهل البيت عليهم السلام، متحدّثة عن عظمة هذه الشجرة المباركة، وقياس إيمان المؤمن بحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، والتسابق في تعريف الأمّة بمناقب آل الرسول الكرام وتعميق حبّهم في النفوس، وإظهار اللّوعة والبراءة من أولئك الذين عادوا آل البيت النبوي الكريم، وأنزلوا بهم الفجائع والمحن.

إنّ أهل هذا البيت عليهم السلام كوكبة فريدة بما حملت من علم وتقوى وخلق وشرف رفيع وثبات على الحق ودفاع عن الإسلام بالعلم والسيف، ومقاومة للظلم والطغيان، لذا أجمع المسلمون أن ليس في هذه الأمّة من يملك المقام والشرف والميزات التي خصّ الله بها أهل هذا البيت عليهم السلام، فهم وحدهم قد خصّهم الله بالتطهير من الرّجس والآثام:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾.

وهم وحدهم قد خصّهم الله بأن جعل مودّتهم واجبة على هذه الأمّة، وجعلها حقّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليها:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾.
(الشورى / ٢٣)

وهم وحدهم جعل الله سبحانه الصلاة عليهم واجبة في الصلوات اليومية الخمس، يقرن ذكرهم بذكر رسول الله ﷺ :

﴿إنَّ اللهَ ومَلائِكتَهُ يُصلّونَ على النَّبِيِّ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تَسْليما﴾. (الأحزاب / ٥٦)

وقد علّم رسول الله ﷺ أمّته كيف تصلّي عليه وعلى آله، فقال لهم حين سألوه: كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟ قال:

«قولوا اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّدٍ كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».

فليس في هذه الأُمّة من له هذه المزايا والصفات، من هنا نعرف عظمة أهل البيت ومقامهم، ووجوب حبّهم والاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

فالقرآن لم يؤكّد على أهل هذا البيت عليهم السلام، ولم يبيّن للأُمّة مقامهم ومكانتهم إلّا لغرض الاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ، والتمسّك بحبّهم، والأخذ عنهم.

فهو لم يُعرّفهم بهذا التعريف إلّا لأغراض عقائدية ورسالية تدعو كلّ مسلم إلى التأمّل والتفكّر، ومعرفة هذه الطليعة الرسالية التي منحها الله موقع الإمامة والريادة في الأُمّة، بعد أن عرّفهم بهذا التعريف، وعرّفهم رسول الله ﷺ.

وسنتعرّض ـ فيما يلي ـ لتعريف القرآن والسنّة المطهّرة، وأئمّة المسلمين، وعلمائهم، وأدبائهم، بهذه الشجرة المباركة، والذرية الطاهرة، والطليعة الرائدة.

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

القرآن الكريم مصدر الفكر، ومنبع التشريع والقيم، وما جاء به القرآن فهو وحي منزل وكلام إلهي مقدس، يصوغ نظام الحياة، ويشخص قوانينها، وكل مسلم يعلم أن ما جاء به القرآن هو شريعته ورسالته في الحياة، وهو ملزم بالعمل به والسّير على هداه، وقد تحدّث القرآن عن أهل البيت عليهم السلام مستعملاً الأساليب التالية:

١ ـ التصريح باسمهم الاصطلاحي الذي اصطلح عليه القرآن فهو تارة يسمّيهم (أهل البيت) كما في آية التطهير، وتارة يسمّيهم (القربى) كما في آية المودّة، وبذا نزلت آيات كثيرة وضّحتها السنّة النبويّة، وبيّنتها للأمّة في حينها، ورواها المفسّرون، والرّواة، في كتبهم، وموسوعاتهم.

٢ ـ تسجيل أحداث ووقائع تخص أهل البيت عليهم السلام ونزول آيات كثيرة تتحدّث عن فضلهم ومقامهم، وتثني عليهم، وتوجّه الأمّة نحوهم، مجتمعين تارة، كما في آية المباهلة (آل عمران / ٦١)، وآية الإطعام في سورة الدهر وغيرها، ومتفرّقين كما في آية الولاية (المائدة / ٥٥).

وسنتعرّض لبعض هذه الآيات ـ وهي كثيرة ـ التي تحدّثت عن أهل البيت عليهم السلام بشيء من التفصيل والتوضيح:

أوّلا: آية التطهير

﴿إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا﴾.

(الأحزاب / ٣٣)

لقد تظافرت التفاسير والروايات أنّ المقصود بأهل البيت عليهم السلام، هم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهم: (عليّ وفاطمة والحسن والحسين).

فقد ورد في الدرّ المنثور للسيوطي:

«أخرج الطبراني عن أمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيه، فجاءت بهم فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم كساءً فدكيّاً، ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال:

(اللّهمّ انّ هؤلاء أهل محمّد ـ وفي لفظ آل محمّد ـ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم انّك حميد مجيد).

قالت أمّ سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنّكِ على خير»[١].

وروي عن أمّ سلمة زوج النبيّ: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة[*] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إدعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينا هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرا﴾.

فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بفضلة إزاره فغشاهم إيّاها ثمّ أخرج يده من الكساء

---

(١) الترمذي / ج ٢ / مناقب أهل البيت / ص ٣٠٨، بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ في بيت أمّ سلمة. فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة وحسناً وحسيناً، وعليّ خلف ظهره فجلّلهم بكساء ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا. قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبي الله. قال: أنتِ على مكانك، وأنتِ إلى خير».

(*) الخزيرة: نوع من الطعام.

وأومأ وإلى السماء ثمّ قال:

«اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا».

قالها ثلاث مرات، قالت أمّ سلمة، فأدخلت رأسي في السّتر، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معكم؟ فقال:

«إنّكِ إلى خير، مرّتين»[٢].

واستمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوضّح لأمّته معنى الآية الكريمة، ويكرّس فهمها لهذه الآية لتستنير بها، وتسير على هديها فقال:

«نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهيرا﴾»[٣].

كما روي عن عائشة تفسير هذه الآية وتأكيد بيان الأشخاص المقصودين فيها: (خرج النبيّ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله فيه ثمّ جاء الحسين فأدخله معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال:

(٢) روي الحديث في غاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل بثلاث طرق عن أمّ سلمة، وكذا عن تفسير الثعلبي... وفيه أخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري نفس المعنى الآنف الذكر مع بعض الاختلاف في التعبير اللفظي، ورواه أيضاً في غاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بإسناده عن أمّ سلمة، راجع الميزان في تفسير القرآن للعلّامة الطباطبائي / آية التطهير، ومن أراد المزيد من مراجعة المصادر الخاصة بتفسير آية التطهير والتعريف بأهل البيت الخمسة فليراجع الملحق رقم (١) في آخر الكتاب.

(٣) أخرج هذه الرواية ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري، كما رواها أيضاً في غاية المرام عن الثعلبي في تفسيره، وفيه أخرج الترمذي وصححه، وابن جرير وابن المنذر، والحاكم، وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق أمّ سلمة، راجع الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهيرا﴾(٤).

وجاء في رواية أُخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول:

«الصلاة يا أهل البيت، الصلاة، إنّما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيرا»(٥).

وهكذا يتحدّث القرآن الكريم عن أهل البيت عليهم السلام ، ويحدّد شخصيّاتهم الطاهرة، البعيدة عن الرجس والمعاصي والآثام وهوى النفس.

وما عرّف القرآن بهم هذا التعريف إلّا ليؤكّد للأمّة مقامهم ومكانتهم، ويوجّه نظرها للاقتداء بهم، والرجوع إليهم في فهم الشريعة، وأخذ أحكامها عنهم، ليحدّد للأُمّة الميزان العملي، والمقياس الذي يرجعون إليه عند اختلاف الآراء، وتعارض الفهم والمعتقد.

وما مواظبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الوقوف بباب عليّ وفاطمة شهوراً عديدة، ومناداته صلى الله عليه وآله وسلم عند الفجر لهم، يدعوهم إلى الصلاة، ويسمّيهم أهل البيت، إلّا ليعرّف بشخصيّات أهل البيت عليهم السلام ، ويفسّر للمسلمين الآية: (آية التطهير)، ويعرّف الأُمّة بمقام أهل البيت عليهم السلام ، ويوجّه نظرها إليهم، ويوجب عليها حبّهم، وطاعتهم، والولاء لهم.

فقد روى الطبراني عن أبي الحمراء ولفظه:

---

(٤) من المتّفق عليه من الصحيحين عن البخاري ومسلم من سند عائشة / غاية المرام، وذكرها الزمخشري في تفسير الكشاف عند تفسيره آية المباهلة.

(٥) ابن مردويه عن ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي، وحسّنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم، وصحّحه، وابن مردويه عن أنس / يراجع الميزان للطباطبائي لمتابعة هذه المصادر / تفسير آية التطهير.

(رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي على باب عليّ وفاطمة ستة أشهر، فيقول: ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرا﴾[٦].

وذكر الفخر الرازي في «التفسير الكبير» أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية الكريمة:

﴿وأمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْها﴾. (طه / ١٣٢)

كان يذهب إلى عليّ وفاطمة عليهما السلام كل صباح ويقول: «الصّلاة»، وكان يفعل ذلك أشهراً).

عن أنس: (أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر كلّما خرج إلى الصّلاة، فيقول:

«الصّلاة أهل البيت، إنّما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُمُ الرّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيرا»)[٧].

وفي ذلك إيضاح ودلالة على عناية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا البيت، وتأكيده للمسلمين أنهم هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرّجس، وطهّرهم تطهيرا.

وواضح من دلالة الآية: ﴿إنّما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيرا﴾ واستعمالها للفظ المذكّر دون المؤنّث (عنكم) و(يطهّركم) دلالة على أنّ المقصود هم هؤلاء الخمسة، فقد ورد في التفاسير لو أنّه أراد نساء النبيّ لاستعمل كلمة (عنكنّ)، (يطهّركنّ)، وخاطبهنّ بخطاب المؤنّث.

---

(٦) جامع الأصول / ج ٩ / ص ١٥٦، نقله عن صحيح الترمذي، ورواه ـ أيضاً ـ الحاكم في المستدرك / ج ٣ / ص ١٥٨ وصحّحه.

(٧) تقي الدين أحمد بن عليّ المقريزي المتوفّى سنة (٨٤٥ هـ) / فضل آل البيت / ص ٢١، ومن أراد الزيادة فليراجع المصادر المدوّنة في الملحق رقم (١).

وقد مرّ علينا في حديث الكساء عند نزول الآية: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما همّت أمّ المؤمنين أم سلمة بالدخول مع أهل بيته تحت الكساء، جذب من يدها الكساء وقال لها: أنت على مكانك، وأنت إلى خير.

ممّا يدل على عدم شمول آية التطهير لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تدّعِ أي منهنّ نزول الآية فيهنّ، مع ما في الآية من فضل عظيم ومنزلة كريمة.

إنّ هذه الآية ترسم طريقاً واسع الدلالة والمحتوى، وتلفت نظرنا إلى حقائق أساسية في الحياة الإسلامية، لئلا يضطرب علينا الفهم، وتضيع المقاصد الحقّ لكتاب الله، الذي أراد أن يبني الأمّة على أساس الطهر والابتعاد عن الرجس والرذيلة، وجعل أهل البيت عليهم السلام هم المحور، والمنار في هذا البناء، فليس في المسلمين من يشهد له القرآن بهذا الوصف، وليس فيهم من خاطبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصفة، صفة الطهارة المطلقة، والبعد عن الذنوب والآثام، سوى أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: آية المودّة

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ في القُربى ومَنْ يَقْتَرِفْ حسنةً نَزِدْ لَهُ فيها حُسْناً إنّ اللهَ غفورٌ شكُور﴾. (الشورى / ٢٣)

وقد أوضح الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من هم المعنيّون بهذه الآية المباركة، ومن هم الذين وجب حبّهم وطاعتهم، والسير على نهجهم.

روى المفسّرون المحدّثون وأرباب السير أن (قربى النبيّ) المقصودين في هذه الآية هم (عليّ وفاطمة والحسن والحسين).

قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ما نصّه:

(روي أنّه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون

محمّداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية:

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ في القُرْبىٰ﴾)[٨].

ثمّ قال الزمخشري: (وروي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما).

وفي مسند أحمد بن حنبل ـ باسناده المذكور ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهم) قال: لما نزل قوله تعالى:

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ في القُرْبىٰ﴾.

قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ وفاطمة وابناهما)[٩].

وثبّت الفخر الرازي في التفسير الكبير بعد أن ذكر قول الزمخشري في آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما نصّه:

(وأنا أقول: آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم (الآل)، ولا شك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم (الآل).

وأيضاً اختلف في (الآل)، قيل: هم الأقارب، وقيل هم أُمّته، فان حملناه على القرابة فهم (الآل)، وان حملناه على الأمّة[١٠] الذين قبلوا دعوته فهم

(٨) الفخر الرازي / التفسير الكبير / تفسير سورة الشورى / الآية ٢٣.

(٩) غاية المرام / تفسير الآية.

(١٠) واضح لدى القارئ الكريم انّ هذا التفسير فيه بُعد عن المعنى الحقيقي، وانّ معنى (الآل) واضح في لغة العرب، ولا يمكن أن يقال تفسير (الآل) الأمّة، وللمزيد من المصادر التي ←

أيضاً (الآل)، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم (الآل).

وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظة (الآل)؟ فمختلف فيه، وروى صاحب الكشاف أنه لمّا نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: (عليّ وفاطمة وابناها). فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿إلاّ المودّة في القربى﴾، ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبّ فاطمة عليها السلام ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها».

كما ثبت بالنقل المتواتر عن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمّة مثله، لقوله تعالى:

﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾. (آل عمران / ٣١)

﴿واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدون﴾. (الأعراف / ١٥٨)

ولقوله:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفونَ عَنْ أمْرِه﴾. (النور / ٦٣)

ولقوله سبحانه:

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسولِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. (الأحزاب / ٢١)

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة

← جاءت في تفسير الآية ونصّها على أنّ (الآل) هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين. يراجع الملحق رقم (٢).

التشهّد في الصلاة، وهو قوله: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد».

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير (الآل)، فكل ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم واجب، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

يا راكباً قِفْ بالمُحصّب من مِنى واهتف بساكن خَيْفها والناهِضِ
سحراً إذا فاض الحجيجُ إلى منى فيضاً كما نظم الفرات الفائضِ
إن كان رَفْضاً حُبّ آلِ محمّد فَلْيَشْهد الثقلان أنّي رافضي)(١١)

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ في القُربى﴾.

قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ وفاطمة وولداها(١٢).

وفيه صحّ عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنه خطب الناس فقال في خطبته:

---

(١١) الفخر الرازي / التفسير الكبير / تفسير سورة الشورى / الآية ٢٣. الخيف: غرّة بيضاء بمكّة في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سمّي مسجد الخيف.

(١٢) احياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي / (مؤسسة الوفاء ـ بيروت ١٤٠٤هـ) / ص ٨، ورواه السيوطي في الدرّ المنثور / ج ٦ / ص ٧ عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير / مسند الإمام الحسن / ج ١ / ص ١٢٥ (نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق) مع اختلاف في النص: «عليّ وفاطمة وابناهما»، ونقله بهذا النص عن الطبراني الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٨. كما ذكر الحديث الطبري في ذخائره / ص ٢٥، وقال: أخرجه أحمد في المناقب. كما نقله ابن الصباغ المالكي عن البنوي مرفوعاً بسنده عن ابن عباس / ص ٢٩. وذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، ج ١٦ / ص ٢١ ـ ٢٢.

«أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ في القُربى﴾».

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿ومن يقترف حسنة...﴾ قال: المودّة لآل محمّد)[١٣].

في آية التطهير ثبت القرآن طهارة أهل البيت عليهم السلام، ونقاءهم، وبهذا استحقوا المودّة والإخلاص اللّذين أمر بهما القرآن في هذه الآية.

ولا يعني القرآن بهذه المودّة: الارتباط العاطفي، والحبّ القلبي فقط، فلا قيمة للحبّ والودّ الذي يعيش في النفس والوجدان، ولا يجد له المصاديق والتحقق.

وتحقيق الودّ والحبّ لذوي القربى ـ قربى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ يكون في الاقتداء بهم، والسّير على منهجهم، والالتزام بمدرستهم، وما صدر عنهم، ووضعهم في الأُمّة موضع القدوة والريادة.

ولولا ضمان الاستقامة في أهل البيت عليهم السلام، وقدرتهم على قيادة الأُمّة في طريق الهدى، وضمان ذلك، لما نزل به قرآن، ولما أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجعل حقّه على الأُمّة ودّ أهل البيت عليهم السلام.

وتلك الإضمامة التي أوردناها من أقوال المفسّرين والرّواة وأصحاب الحديث نقلت إلينا تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية المباركة، ووضعت مودّة أهل البيت عليهم السلام في القلوب، وجعلتها حقيقة تعيش في وجدان كل مسلم، وتتجسّد في سلوكه، وتظهر على مشاعره وعواطفه وتحدّد موقفه من أهل البيت عليهم السلام، ومن أعدائهم، وأحبّائهم، ومنهجهم، وما ثبت عنهم من حديث وفقه، وتفسير، وفكر، وتوجيه، وبيان للعقيدة والشريعة، ومنهج

---

(١٣) الطباطبائي عن الطوسي في مجمعه.

للعمل في القيادة والسياسة.

وهذا الوسام والشرف، له مغزاه، ودلالته الخاصّة، ينبغي أن يعيه المسلمون ويدركوا عمقه.

ثالثاً: آية المباهلة

﴿فَمَنْ حاجَّكَ فيه من بَعْدما جاءَكَ مِنْ العِلْمِ فَقُل تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونِساءَنَا ونِساءَكُمْ وأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلى الكاذِبِين﴾. (آل عمران / ٦١)

وقعت حادثة تاريخية خالدة رواها المؤرّخون والمفسرون، كشفت هذه الأمّة حرمة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ وفاطمة والحسن والحسين) على الله سبحانه، ومكانتهم في هذه الأمّة، ودلّت على عظمة قدرهم ومقامهم الفريد عند الله سبحانه.

وحادثة المباهلة كما رواها المؤرّخون والمفسرون والرواة هي: أنّ وفداً(١٤) من نصارى نجران جاء ليحاجج رسول الله ويحاوره، فأمره الله سبحانه بهذه الآية المباركة أن يدعو (عليّاً وفاطمة والحسن والحسين) ويخرج بهم إلى الوادي، وأن يدعو النصارى أبناءهم ونساءهم ويخرجوا معهم، ثمّ يدعو الله بأن ينزل العذاب على الكاذبين.

قال الزمخشري في الكشّاف:

---

(١٤) ويتكّون الوفد من: العاقب، واسمه عبد المسيح، كان أمير القوم وصاحب رأيهم وصاحب مشورتهم، والسيّد، وهو: الأيهم، وكان ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حاتم بن علقمة، وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم / الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي / مقدمة المؤلف.

(إنّهم لمّا دعاهم إلى المباهلة[١٥] قالوا: حتى نرجع وننظر، فلمّا تخالّوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ: يا عبد المسيح، ما ترى.

فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً نبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وَلَأن فعلتم لَنَهلكن، فإنْ أبيتم إلّا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فَوادِعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا».

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لانباهلك، وأن نُقرّك على دينك ونثبت على ديننا.

قال:

«فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم».

فأبوا، فقال: «فإنّي أُناجزكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تَردّنا عن ديننا، على أن نؤدّي إليك كل عام ألفي حلّة: ألف في صَفَر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك،

---

(١٥) قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف): «ثمّ نبتهل، ثمّ نتباهل بأن نقول: بَهْلَةُ الله على الكاذب منّا ومنكم. والبَهْلة بالفتح والضم: اللّعنة. وبهله الله: لعنه، وأبعده من رحمته. من قولك: «أبهله: إذا أهمله» وأصل الابتهال هذا، ثمّ استعمل في كل دعاء يجتهد فيه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا»).

ثمّ استطرد الزمخشري حديثه عن تفسير آية المباهلة ومقام أهل البيت عليهم السلام بعد أن استشهد على عظيم مكانتهم بحديث عائشة، استطرد قائلاً:

(وقدّمهم في الذِّكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانتهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدّمون على الأنفس، مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء[(١٦)] عليهم السلام.

وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّه لم يَروِ أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك)[(١٧)].

إنّ المقام كان يوحي ببروز معسكر الإيمان مقابل معسكر الشرك، وإنّ الذين برزوا هم طليعة الهدى ومقدّمة الأُمّة وأقدس ما فيها من نفوس أذهب الله عنها الرجس فطهّرها تطهيراً، فلا تردّ لهم دعوة، ولا تكذّب لهم كلمة، من هنا نفهم أن ما وردنا عن أهل البيت عليهم السلام من فكر وتشريع ورواية وتفسير وهداية وتوجيه هو جار مجرى هذا الموقف، فهم الصادقون في لهجتهم وسيرتهم ومنهجهم.

---

(١٦) يُطلق لفظ أصحاب الكساء على الذين اجتمعوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحت كسائه، ونزلت فيهم الآية المباركة: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، كما مرّ ذلك فيما تقدّم.

(١٧) الزمخشري / تفسير الكشاف / سورة آل عمران / الآية (٦١)، وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي.

والقرآن تحدّى بهم أعداء الإسلام، وجعل خصومهم الكاذبين، المعرّضين للعنة والعذاب: ﴿فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكاذِبِينَ﴾.

ولولا ضمان الاستقامة والصدق فيما يصدر عنهم لما منحهم الله هذا الشرف، ولما نطق القرآن بذلك.

ودوّن الفخر الرازي في تفسيره (الكبير) نفس الرواية التي رواها الزمخشري كاملة، فكان تفسيرهما متطابقاً تمام التطابق في هذا المحور، ثمّ علّق بقوله:

(واعلم إنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث)(١٨).

وقد ذكر العلّامة الطباطبائي في حديثه أنّ المعنيّ بهذه الآية، وأنّ الذين باهل الله بهم أعداءهم: «هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام» ما نصّه:

«أطبق على نقلها وتلقيها بالقبول أهل الحديث، وأثبتها أرباب الجوامع في جوامعهم، ومنهم مسلم في صحيحه، والترمذي في صحيحه، وأيّدها أهل التاريخ.

ثمّ أطبق المفسرون على إيرادها وإيداعها في تفاسيرهم من غير اعتراض أو ارتياب، وفيهم جمع من أهل الحديث والتاريخ، كالطبري، وأبي الفداء، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم».

وفي هذه الآية الكريمة يباهل الله ورسوله بهم أعداءه فيعرّف بمقامهم العظيم، ومكانتهم المقدّسة، ولولا ما لهم من حرمة خاصّة على الله سبحانه، وقدسية متميّزة لديه، لما دعا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يخرج بهذه الكوكبة الطاهرة

(١٨) الفخر الرازي / التفسير الكبير / آية المباهلة.

يتحدّى أعداء الله بنزول العذاب وضمان استجابة الدعاء.

وفي الآية دقائق لغوية لابدّ من الوقوف عندها وهي: إضافة هذه الكوكبة (الحسن والحسين وفاطمة وعليّ) إلى رسول الله (أبناءنا) و(نساءنا) و(أنفسنا).

فلولا تجسيد الحادثة، وخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه هذه الكوكبة لانصرف الذهن من إطلاق كلمة (نساءنا) إلى أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، و(أبناءنا)، إلى فاطمة وبناته الأخريات، ومن (وأنفسنا) إلى ذاته المقدّسة وحدها.

إلّا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باخراجه هؤلاء الأربعة معه دون غيرهم فسّر لنا أنّ صفوة نساء الأمّة وقدوتها: فاطمة، وأنّ صفوة أبناء المسلمين الحسن والحسين، ونسبهم القرآن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا وفق منطوق الآية أبناءه، واعتبر القرآن عليّاً: كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: آية الصّلاة

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. (الأحزاب / ٥٦)

في هذه الآية أمر واجب بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله الكرام عليهم السلام، وتخصيص لهم دون غيرهم، وتعظيم لمقامهم وكرامتهم لتعرف الأمّة موقعهم الرسالي في حياتها ورسالتها.

وقد سجّل الفخر الرازي في تفسيره (الكبير) ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير هذه الآية المباركة، فقال:

«سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كيف نصلّي عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم،

وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».

وقبل أن يورد هذا النص، استعرض تفسير الآية ثمّ قال:

(هذا دليل على مذهب الشافعي لأنّ الأمر للوجوب[19]، فتجب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تجب في غير التشهّد فتجب في التشهّد)[20].

ثمّ عقّب الرازي بقوله:

(إذا صلّى الله وملائكته عليه فأي حاجة إلى صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلّا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منّا، شفقة علينا، ليثيبنا عليه، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشراً»).

وفي الدرّ المنثور للسيوطي: (أخرج عبد الرزّاق وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن مردويه، عن كعب بن عجرة، قال: قال رجل: يا رسول الله أمّا السّلام عليك فقد علمناه، فكيف الصّلاة عليك؟ قال: قل:

«اللّهمّ صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».

وقد أورد ثمانية عشر حديثاً غير هذه الرواية تدل على تشريك آل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معه في الصلاة، رواها أصحاب السنن والجوامع عن عدّة من الصحابة

---

(١٩) يشير إلى فعل الأمر «صلّوا عليه» الوارد في الآية، وقد بحث علماء أصول الفقه دلالة فعل الأمر على الوجوب، ففي نظر بعضهم كلما ورد أمر في الكتاب والسنّة أفاد الوجوب، إلّا إذا اقترن بقرينة يستفاد منها صرف الدلالة من الوجوب إلى الاستحباب.

(٢٠) الفخر الرازي / التفسير الكبير / تفسير سورة الأحزاب / الآية ٥٦.

صلى الله عليه وآله وسلم معه في الصلاة، رواها أصحاب السنن والجوامع عن عدّة من الصحابة منهم: ابن عباس وطلحة وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأبو مسعود الأنصاري وبريدة وابن مسعود وكعب بن عمرة وعليّ عليه السلام.

وفيه: أخرج أحمد والترمذي عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البخيل من ذُكِرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ»(٢١).

وهكذا يرى الفقهاء وجوب الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في تشهّد الصلاة(٢٢)، ووجوب الاتيان بذكر آل محمّد في الصلاة.

إنّ المتأمّل في هذه الآية يدرك بوضوح الغاية من هذا التشريع والالزام به، هي تعظيم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً لتقتدي الأُمّة بهم، وتنهج نهجهم، وتفزع في الفتن والخلافات إليهم.

فأولئك الذين لاتجوز الصلاة إلّا بالصلاة عليهم، هم أئمة الأمّة، ولولا ثبوت وضمان استقامتهم، وسلامة ما صدر عنهم لما أمر الله المسلمين على مدى الدهور أن يتعلّقوا بهم، ويصلّوا عليهم في كل صلاة.

إنّ في ذلك التكرار ـ تكرار الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وفرضها في الصلاة ـ تأكيداً، وإلفات نظر للمسلمين في كل صلاة لأهميّة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم، والاقتداء بهم والسير على نهجهم، والتمسّك بمسارهم.

---

(٢١) العلامة الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن / ج ١٦ / ٣٤٤.

(٢٢) قال المحقق الحلّي، وهو من أعاظم فقهاء أهل البيت عليهم السلام، من أعلام القرن السابع الهجري، عند ذكر واجبات الصلاة: (سابعاً) التشهّد، وهو واجب في كل ثنائية مرّة وفي الثلاثية والرباعية مرّتين ولو أخلّ بهما أو بأحدهما ـ عامداً ـ بطلت صلاته، والواجب في كل واحد منهما خمسة أشياء: الجلوس بقدر التشهّد، والشهادتان والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله عليهم السلام / شرائع الإسلام / ج ١ / باب الصلاة.

خامساً: سورة الإنسان (الدّهر)

﴿إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً * عَيْناً يشربُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرونَها تَفْجيراً * يُوفُونَ بالنَّذْرِ ويَخافُونَ يوماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً * ويُطْعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً ويَتيماً وأسيراً * إنّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنكُم جزاءً ولا شُكوراً * إنّا نَخافُ من رَبِّنا يَوْماً عبوساً قَمْطَريراً * فوقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ اليَوْمِ ولَقّاهُمْ نَضْرَةً وسُروراً * وَجزاهُم بِما صَبَروا جَنَّةً وحريراً * مُتَّكِئينَ فيها على الأرائِكِ لا يَرَونَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَريراً * ودانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تَذليلاً * ويُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ من فِضَّةٍ وأكوابٍ كانَتْ قواريراً * قَواريرَ مِنْ فضَّةٍ قَدَّروها تَقْديراً * ويُسقَوْنَ فيها كأساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً * عَيْناً فيها تُسَمّى سَلْسَبيلاً * ويَطوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ إذا رأيْتَهُم حَسِبْتَهُمْ لُؤلُؤاً مَنْثوراً * وإذا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعيماً ومُلْكاً كَبيراً * عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدسٍ خُضْرٌ وإسْتَبْرَقٌ وحُلُّوا أساوِرَ من فِضَّةٍ وسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهوراً * إنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وكانَ سَعْيُكُم مَشْكوراً﴾. (الإنسان / ٥ ـ ٢٢)

في هذه الآيات المباركة يتحدّث القرآن عن أهل البيت عليهم السلام ويضعهم في قمّة الايثار والتقوى، ويعرضهم نماذج وقدوة للبشرية لتقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم.

والحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآية المباركة تشير إلى مقام أهل البيت عليهم السلام، وتساميهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرّد الكامل لله تعالى، وأنّهم هم الأبرار المبشّرون بالجنة، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حُشِرَ معهم، فقد أورد الزمخشري في تفسير هذه الآية ما نصّه:

(وعن ابن عباس رضي الله عنه: انّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك.

فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئا مما بهما: أن يصوموا ثلاثة أيام.

فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليّ عليه السلام من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلّا الماء.

وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه.

ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك.

فلمّا أصبحوا أخذ عليّ رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبريل، وقال: «خذها يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك» فأقرأه السورة)[٢٣].

سادساً: وقد نزل من القرآن آيات عديدة في الإمام عليّ بن أبي طالب

---

(٢٣) الزمخشري / الكشاف / تفسير سورة الإنسان / وأورد الفخر الرازي في التفسير الكبير نفس الرواية عن الكشاف، كما أوردها عن الواحدي. وروى الطبرسي في مجمع البيان نفس الرواية.

عليه السلام، وهو الذي تربّى في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ كان صغيراً[٢٤]، ونشأ في كنفه وتخلّق بأخلاقه، وآمن به وهو ابن عشر سنين، وصدّقه وتابعه، ثمّ كان حامل لوائه وجنديّه الشجاع في المعارك كلها، بدر وأحد وحنين والأحزاب وخيبر وذات السلاسل وغيرها من المعارك. وقد شهد له بها رسول الله صلى الله عليه وآله ودوّن كلماته فيه أوسمة خالدة تزيّن صفحات التاريخ، وتضع أمام البشرية المثل الأعلى في التضحية والجهاد.

وسنجد بعد استقراء أسباب النزول انّ الذي نزل في أمير المؤمنين وإمام المسلمين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من القرآن غير الذي ذكرناه في مجموع أهل البيت عليهم السلام كان يتحدّث:

أ ـ عن شجاعة عليّ عليه السلام واستبساله وتضحيته في سبيل الله.

ب ـ عن صبره على الأذى والاستهزاء.

ج ـ عن ورعه وتقواه، وعمله وبذله، وولايته للمؤمنين.

ولنذكر أمثلة على ذلك ونأخذ منها:

آية الولاية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾. (المائدة / ٥٥، ٥٦)

ذكر الزمخشري في تفسير الكشّاف ما نصّه:

«وإنّها نزلت في عليّ (كرّم الله وجهه) حين سأله سائل وهو راكع في صلاته،

---

(٢٤) اصاب مكّة قحط شديد قبل البعثة النبوية، وكان أبوه (أبو طالب) فقيراً فأخذه النبيّ ليعين عمّه على تربيته والنفقة عليه.

فطرح له خاتمه كأنّه كان مرجاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته.

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ عليه السلام واللّفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقّد الفقراء، حتى إنْ لزمهم أمر لايقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخّروه إلى الفراغ منها»(٢٥).

وذكر الواحدي عن الكلبي في أسباب نزول الآية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنوا الَّذين يُقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعونَ﴾.

قال:

(إنّ آخر هذه الآية في عليّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) لأنه أعطى خاتمه سائلاً وهو راكع في الصلاة)(٢٦).

وقد ذكر نزول هذه الآية المباركة في الإمام عليّ عليه السلام عدد كبير من كتب التفسير والحديث، تركنا التفصيل في ذلك لمن أراد الاستزادة بالرجوع إليها(٢٧).

آية التبليغ:

﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنْزِلَ إلَيكَ مِنْ ربِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

(٢٥) الزمخشري / تفسير الكشاف / سورة المائدة / الآية ٥٥.

(٢٦) الواحدي / أسباب النزول / سورة المائدة / الآية ٥٥.

(٢٧) يراجع الملحق رقم (٤) للمزيد من المصادر.

رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٢٨). (المائدة / ٦٧)

وكان نزول هذه الآية في غدير خمّ، وفيما يلي بيان ذلك:

لمّا صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع (٢٩) نزلت عليه في الثامن عشر من ذي الحجّة (٣٠) آية ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾.

فنزل غدير خمّ من الجحفة (٣١) وكان يتشعّب منها طريق المدينة ومصر والشام (٣٢) ووقف هناك حتّى لحقه من بعده ورد من كان تقدّم (٣٣) ونهى أصحابه عن سمرات متفرّقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث اليهنّ فقمّ ما تحتهنّ من الشوك (٣٤) ونادى بالصلاة جامعة (٣٥)، فصلّى الظهر

---

(٢٨) روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩٠ / ط بيروت ـ عام ١٣٩٣ هـ ق:

(عن عبدالله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله يقول يوم غدير خمّ، وتلى هذه الآية: ﴿يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل اليك﴾ ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض ابطيه، ثمّ قال: ألا من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه).

وروى الواحدي في أسباب النزول / ص ١٣٥، والسّيوطي في الدرّ المنثور / ج ٢ / ص ١٩٨، عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب: ﴿يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربّك﴾.

(٢٩) مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٣٠) رواه الحاكم الحسكاني / ج ١ / ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٣١) مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣ ـ ١٦٥، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩ ـ ٢١٣.

(٣٢) مادة الجحفة من معجم البلدان.

(٣٣) تاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٣.

(٣٤) مجمع الزوائد، والسمر: نوع من الشجر، وقريب منه لفظ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩.

(٣٥) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١، سنن ابن ماجة / باب فضل عليّ، وتاريخ ابن كثير /

بهجير[٣٦]، ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثمّ قال:

إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد انّك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال: أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حق وأنّ النّار حق.

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: اللّهمّ اشهد، ثمّ قال: ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: يا أيّها النّاس انّي فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وانّ عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء[٣٧] فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، وأنّي سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي وأهل بيتي، وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا

← ج ٥ / ص ٢٠٩ و ٢١٠.

(٣٦) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١، سنن ابن ماجة / باب فضل عليّ، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٢.

(٣٧) كانت بصرى اسم لقرية بالقرب من دمشق وأخرى بالقرب من بغداد.

تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم[٣٨].

ثمّ قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله![٣٩].

قال: ألستم تعلمون أو تشهدون انّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى يا رسول الله[٤٠].

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتّى نظر الناس إلى بياض ابطيهما[٤١]، ثمّ قال:

أيّها النّاس! الله مولاي وأنا مولاكم[٤٢]، فمن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه[٤٣] وانصر من نصره واخذل

(٣٨) مجمع الزوائد وبعض الفاظه في روايات الحاكم / ج ٣ / ص ١٠٩ ـ ١١٠، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩.

(٣٩) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩، وج ٤ / ص ٢٨١، وسنن ابن ماجة / ج ١ / ص ٤٣ / ح ١١٦، وورد «نعم» في مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩، ولدى ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠: (ألستُ أولى بكل امرئ من نفسه).

(٤٠) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩ و ٢١٢.

(٤١) في رواية الحاكم الحسكاني / ج ١ / ص ١٩٠، فرفع يديه حتّى يرى بياض ابطيه، وفي ص ٩٣ منه: حتى بان بياض ابطيهما. والضبع: عضد اليد كلها.

(٤٢) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩١، وعند ابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩: وأنا مولى كلّ مؤمن.

(٤٣) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩ وج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ وج ٥ / ص ٣٤٧ و ٣٧٠، ومستدرك الحاكم / ج ٣ / ص ١٠٩، وسنن ابن ماجة والحاكم

من خذله[٤٤]، وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه[٤٥].

ثمّ قال: اللّهمّ اشهد[٤٦].

ثمّ لم يتفرّقا ـ رسول الله وعليّ ـ حتّى نزلت هذه الآية:

﴿اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الله أكبر على إكمال الدّين وإتمام النّعمة، ورضا الرّب برسالتي والولاية لعليّ»[٤٧].

وهناك آيات كثيرة تتحدّث عن مقام أهل البيت عليهم السلام، وكرامتهم وعظمة شخصيّاتهم، وتخصّ بعضها أبا الشجرة الطاهرة، الإمام عليّاً عليه السلام، يجدها القارئ في كتب التفسير والمناقب والحديث والسير، وفي أبواب أسباب النزول، ومن هذه الآيات:

← الحسكاني / ج ١ / ص ١٩٠ و ١٩١، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩ و ٢١٠ ـ ٢١٣، وقال ابن كثير في ج ٥ / ص ٢٠٩: قلت لزيد هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه وسمعه باذنيه. ثمّ قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٤٤) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩، ومجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧، وشواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩٣، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠ و ٢١١.

(٤٥) شواهد التنزيل للحسكاني / ج ١ / ص ١٩١، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠.

(٤٦) شواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩٠.

(٤٧) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري / ج ١ / ص ١٥٧ ـ ١٥٨ / ح ٢١١ و ٢١٢، وعن أبي هريرة / ص ١٥٨ / ح ٢١٢، وفي تاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٤ بإيجاز.

١ ـ قوله تعالى:

﴿إنّما أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَومٍ هادٍ﴾. (الرعد / ٧)

فقد ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع يده على صدره فقال:

«أنا منذر، ولكلّ قوم هاد، وأومأ بيده إلى الإمام عليّ عليه السلام، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي»(٤٨).

٢ ـ قوله تعالى:

﴿أفَمَنْ كانَ مُؤمناً كمَنْ كانَ فاسقاً لا يَستَوُونَ﴾. (السجدة / ١٨)

إنّ المؤمن عليٌّ عليه السلام والفاسق الوليد بن عقبة(٤٩).

٣ ـ قوله تعالى:

﴿أفَمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ويَتْلوهُ شاهِدٌ مِنه﴾. (هود / ١٧)

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على بيّنة من أمره، وإنّ الشاهد هو الإمام عليّ عليه السلام(٥٠).

٤ ـ قوله تعالى:

﴿فإنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبريلُ وصالحُ المُؤمنين﴾. (التحريم / ٤)

إنّ صالح المؤمنين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٥١).

---

(٤٨) مصادر ذلك: مستدرك الصحيحين / ج ٣ / ص ١٢٩، وكنز العمال / ج ٦ / ص ١٥٧، وذكر ذلك الطبري في تفسيره، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، والسيوطي في الدرّ المنثور في تفسير الآية المذكورة.

(٤٩) ذكر ذلك ابن جرير الطبري، والسيوطي في الدرّ المنثور، والزمخشري في الكشاف في تفسير الآية، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٠٠، وتاريخ بغداد والرياض النضرة.

(٥٠) ذكر ذلك السيوطي في الدرّ المنثور، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، في تفسير الآية المذكورة كما ذكر ذلك المتقي الهندي في كنز العمال / ج ١ / ص ٢٥١.

(٥١) السيوطي في الدرّ المنثور في ذيل تفسير الآية، وكنز العمال / ج ١ / ص ٢٣٧.

٥ ـ قوله تعالى:

﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾. (الحاقة / ١٢)

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ الآية: ﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: «سألت الله أن يجعلها أذنك».

فقال عليّ عليه السلام: «فما سمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله فنسيته»(٥٢).

ونقل الواحدي في أسباب النزول عن سلسلة من الرواة عن بريدة:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ: إنّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أُعلّمك وتعي، وحقّ على الله تعالى أن تعي، فنزلت: وتعيها أُذن واعية».

٦ ـ قوله تعالى:

﴿إنّ الّذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً﴾.

(مريم / ٩٦)

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام:

«يا عليّ قل: اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة، فأنزل الله هذه الآية في عليّ عليه السلام»(٥٣).

٧ ـ قوله تعالى:

← والعسقلاني في فتح الباري / ج ١٣ / ص ٢٧، والهيثمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٩٤.

(٥٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره للآية، والزمخشري في تفسيره الكشاف، في تفسيره للآية، والهيثمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٣١. والسيوطي في الدرّ المنثور في تفسيره للآية كذلك، وكنز العمال / ج ٦ / ص ٤٠٨، والواحدي في أسباب النزول.

(٥٣) ذكر ذلك الزمخشري في تفسير الكشاف، والسيوطي في الدرّ المنثور في تفسير الآية والهيثمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٢٥، والرياض النضرة / ج ٢ / ص ٢٠٧، وابن حجر في صواعقه / ص ١٠٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ أُولئك هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾.

(البيّنة / ٧)

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا عليّ هم أنت وشيعتك[٥٤].

٨ ـ قوله تعالى:

﴿أَجَعَلْتُم سِقايَةَ الحاجِّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾.

(التوبة / ١٩)

إنّ هؤلاء هم العباس وطلحة، وإن الذي آمن هو عليّ عليه السلام[٥٥].

وهناك جملة من الآيات الأُخرى لا يتسع بحث الكتاب لاحتوائها، نتركها لغرض الاجمال، ومَن أراد المزيد فليراجعها في مظانها.

---

(٥٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدرّ المنثور بطرق مختلفة، وأضاف بأنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانوا إذا أقبل عليهم عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البرية، وكذلك الصواعق المحرقة / ص ٩٦، والشبلنجي في نور الأبصار / ص ٧٠ و ١٠١.

(٥٥) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول / ص ١٨٢، والطبري في تفسيره، والفخر الرازي في تفسيره، والسيوطي في الدرّ المنثور.

أهل البيت عليهم السلام في السنّة النبويّة

من يستقرئ سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته العملية وعلاقته بأهل بيته الذين نصّ عليهم القرآن وعرّفهم هو صلى الله عليه وآله وسلم، (عليّ وفاطمة وابناهما)(٥٦) يعرف أنّ لأهل هذا البيت دوراً ومسؤولية رسالية وحضارية فريدة في تاريخ هذه الأمّة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطط لها، ويعدّ الأمّة لتقبّلها بأمر من الله سبحانه.

لقد بدأ ذلك الفصل المضيء من التخطيط النبوي بأمر الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتزويجه فاطمة عليها السلام للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولغرس هذه الشجرة المباركة، ولتمتد فروعها في آفاق هذه الأمّة عبر مسيرة تاريخها.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام حين زوّجه فاطمة عليها السلام:

(إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضّة إن رضيت بذلك، فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله. قال أنس بن مالك: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً

---

(٥٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير (مسند الإمام الحسن عليه السلام) / ج ١ / ص ١٢٥ / «نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق» ونقله بالنص ذاته عن الطبراني الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٨، وذكره أيضاً الطبري في ذخائره / ص ٢٥، وقال عنه: أخرجه أحمد في المناقب وذكره السيوطي في إحياء الميت عقيب تفسيره لسورة ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾. إذا قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ وفاطمة وولداهما»، كما ذكره ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٩.

طيّباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب)(٥٧).

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا زوّج فاطمة عليّاً عليهما السلام دخل عليها ودعا بها، فأتته أمّ أيمن بقعب فيه ماء فمج فيه، ثمّ أنضح على رأسها وبين ثدييها وقال: «اللّهمّ إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثمّ قال لعلي: آتيني بماء، فأتاه به فنضح منه على رأسه، وبين كتفيه، وقال: اللّهمّ انّي أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم».

وفي رواية فدعا بماء فتوضأ ثمّ أفرغه على عليّ وفاطمة، وقال:

«اللّهمّ باركِ لهما في نسلهما»(٥٨).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتذر عن تزويج فاطمة كلما خطبها أحد من الصحابة ويقول:

«لم ينزل القضاء بعد»(٥٩).

إنّ هذه العناية الإلهية والنبوية بتزويج فاطمة من عليّ، فلا يتم الزواج إلّا بأمر من الله لتدلّ دلالة واضحة على مكانة أهل البيت عليهم السلام، وما كان يستهدف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من وراء علاقته بهم من خير لهذه الأمّة. المكانة التي فسّرها القرآن الكريم ـ بآياته الواردة فيهم ـ والسنّة النبويّة الشريفة فيما بعد.

ولعلّ فيما نقتبس ونعرض من روايات وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت ـ وهي كثيرة ـ يوصلنا إلى اكتشاف العمق والغاية من هذه العناية

---

(٥٧) محب الدين الطبري / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ص ٣٠.

(٥٨) عبدالله بن محمّد بن عامر الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ٢١ / المطبعة الأدبية بمصر.

(٥٩) محب الدين الطبري / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ص ٣٠.

الإلهية والنبويّة في بناء هذا البيت، وإسباغ الحب والبركات والعناية عليه، ليكون أهل هذا البيت دليلاً للأمّة في حيرتها، وسبباً لنجاتها في محنتها، ونظاماً ومحوراً لوحدتها في تفرّقها، كما نصّت الروايات والأحاديث على ذلك.

إنّ الرسول يضيف ذرية عليّ وفاطمة لنفسه، ويقول: انّهم ذريتي وأبنائي، كما أوضح القرآن بذلك بقوله:

﴿فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعدِ ما جَاءَكَ مِن العِلْمِ فَقُل تَعالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم﴾.

فكان أبناؤه المعنيّون في هذه الآية هم الحسن والحسين كما عرفنا من أقوال المفسّرين وأصحاب السّير.

وقد أكّد صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى مرات عديدة لأمّته، نذكر منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الله جعل ذرية كل نبيّ في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا، يعني علياً»[٦٠].

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحتضن الحسن والحسين ويقول:

«كلّ ولد أب فإنّ عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة فإنّي أنا أبوهم وعصبتهم» أخرجه أحمد في المناقب[٦١].

---

(٦٠) الطبري / ذخائر العقبى / ص ٦٧.

(٦١) وقد أورد هذا الحديث مع اختلاف يسير في لفظه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ٢٤ «نسخة مخطوطة»، وذكره أيضاً المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢٢٠، والمحب الطبري في ذخائر العقبى / ص ١٢١، والسيوطي في احياء الميت / ص ٢٩ بهذا اللفظ: (أخرج الطبراني عن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ بني أنثى فانّ عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإنّي عصبتهم وأنا أبوهم).

ولقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في كل مناسبة يؤكّد مقام أهل البيت عليهم السلام لترجع الأمّة إليهم، وتلتزم بمنهجهم، وتتمسّك بحبّهم.

وفي روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله نجد أنّ أهل البيت هم المنجى لهذه الأمّة، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرنهم بكتاب الله ويجعل دورهم العقائدي والرسالي في هذه الأمّة ملازماً لكتاب الله، لا ينفك عنه، لتتجه الأمّة إليهم في فهم القرآن الكريم، واستنباط معانيه وأحكامه.

وقد حفلت كتب الروايات والسير بالنص النبوي الكريم الذي سمّي بحديث (الثقلين)، ورواه المسلمون بمختلف مذاهبهم السياسية والفقهية، وفيما يلي نذكره، ونذكر بعض أسانيده، كما نقلها الرّواة، والمحدّثون:

١ ـ حديث الثّقلين:

«إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين:
كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي.
كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض.
وعترتي أهل بيتي.
وإن اللّطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا، حتّى يردا عليَّ الحوض.
فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما»[٦٢].

---

(٦٢) حديث الثقلين رواه الترمذي في صحيحه (مناقب أهل البيت) / ج ٢ / ص ٣٨٠ / بسنده عن زيد بن أرقم، وقال في آخر الحديث: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين / ج ٣ / ص ١٠٩ / مروي بسنده عن زيد بن أرقم أيضاً، وذكره أحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري / ج ٣ / ص ١٧ / كما رواه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ١٢٩ / «نسخة مخطوطة» نقله المحب الطبري في ذخائره عن أحمد / ص ١٦.

ونقل الشبراوي الشافعي في كتابه (الاتحاف بحب الأشراف):

(وأخرج مسلم والترمذي وحسنه، والحاكم، واللفظ لمسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال:

«أمّا بعد أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

ثمّ قال: «وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي») [٦٣].

ثمّ نقل أيضاً: (وفي رواية: إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، كتاب الله وأهل بيتي، وفي رواية: لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) [٦٤].

ثمّ ذكر أيضاً: (قال ابن حجر في الصواعق: سمّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم القرآن والعترة ثقلين، لأنّ الثقل كل نفس خطير مضنون به، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار العقلية الشرعية، ولهذا حثّ على الاقتداء بهما.

وقيل سمّيا ثقلين لِثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثمّ الذي وقع عليه الحثّ منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله والمستمسكون بسنّة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض) [٦٥].

ونقل العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي في تفسيره (آلاء الرحمن في

---

(٦٣) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ٢٢.

(٦٤) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ٢٢.

(٦٥) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ٢٢ ـ ٢٣.

تفسير القرآن) ما نصّه:

(وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من أهل السنّة في كتبهم وأوردوا روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وهاك أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

١ ـ عليّ عليه السلام أمير المؤمنين.
٢ ـ عبدالله بن عباس.
٣ ـ أبو ذر الغفاري.
٤ ـ جابر الأنصاري.
٥ ـ عبدالله بن عمر.
٦ ـ حذيفة بن أسيد.
٧ ـ زيد بن أرقم.
٨ ـ عبدالرحمن بن عوف.
٩ ـ ضمرة الأسلمي.
١٠ ـ عامر بن ليلى.
١١ ـ أبو رافع.
١٢ ـ أبو هريرة.
١٣ ـ عبدالله بن حنطب.
١٤ ـ زيد بن ثابت.
١٥ ـ أمّ سلمة.
١٦ ـ أمّ هاني أخت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.
١٧ ـ خزيمة بن ثابت.
١٨ ـ سهل بن سعد.
١٩ ـ عدي بن حاتم.
٢٠ ـ عقبة بن عامر.
٢١ ـ أبو أيوب الأنصاري.
٢٢ ـ أبو سعيد الخدري.
٢٣ ـ أبو شريح الخزاعي.
٢٤ ـ أبو قدامة الأنصاري.
٢٥ ـ أبو ليلى.
٢٦ ـ أبو الهيثم بن التيهان.

وهؤلاء هم الذين ذكرنا أسماءهم من بعد أمّ هاني، قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدّمه، وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش فشهدوا أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهؤلاء ثلاثة وثلاثون.

ورواه أبو نعيم الأصفهاني في كتاب منقبة المطهّرين مسنداً عن جبير بن مطعم، وأسنده أيضاً عن أنس بن مالك وعن البراء بن عازب، ورواه موفّق ابن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص.

وقلّ ما يخلو من رواية هذا الحديث مسند أو جامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنّة، من أوّل ما أخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفّاظ إلى صحف المحدّثين، ولا زال يُروى فيها عن صحابي واحد أو أكثر، وربّما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً، إما مجملاً كما في الصواعق، وإما مسنداً مفصّلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم).

ثمّ قال:

(رواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر عليه السلام، والرضا عليه السلام، والكاظم عليه السلام، والصادق عليه السلام، عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالأسانيد الأُخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر، وأُبي، وجابر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة، وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٦٦].

---

(٦٦) البلاغي / آلاء الرحمن / ص ٤٤.

ونقل العلّامة الفيروزآبادي: أنّ حديث الثقلين رواه مسلم في صحيحه، وأحمد بن حنبل في مسنده / ج ٤ / ص ٣٦٦، والبيهقي في سننه / ج ٢ / ص ١٤٨، وج ٧ / ص ٣٠، ورواه الدارمي في سننه / ج ٢ / ص ٤٣١، والمتقي في كنز العمال / ج ١ / ص ٤٥ وج ٧ / ص ١٠٢)، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار / ج ٤ / ص ٣٦٨، ورواه الترمذي في صحيحه / ج ٢ / ص ٣٠٨، ورواه ابن الأثير الجزري في أسد الغابة / ج ٢ / ص ١٢، ورواه السيوطي في الدرّ المنثور في ذيل تفسير آية المودّة في سورة الشورى، وروي في مستدرك الصحيحين / ج ٣ / ص ١٠٩، ورواه النسائي في خصائصه / ص ٢١، وفي مستدرك الصحيحين أيضاً / ج ٣ / ص ١٤٨.

وفي مسند أحمد بن حنبل، روى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّ اللّطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما»(٦٧).

وهكذا نجد هذا التواتر اللفظي والمعنوي في نقل هذه الرواية التي تقرن أهل البيت عليهم السلام بكتاب الله. من ذلك يفهم المسلمون أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المرجع بعد كتاب الله وهم الأمناء عليه حتى يردا الحوض.

٢ ـ حديث السّفينة :

وإذا كان حديث الثقلين يضع أهل البيت عليهم السلام إلى جانب القرآن لما هم من وظيفة بيان القرآن والكشف عن غوامضه وأسراره ومحتواه والحفاظ عليه، فإنّ حديث السفينة يوضّح للأُمّة أنّ أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة، ومصدر الخلاص لهذه الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا فان عدم الالتحاق بهذه السفينة، وعدم الركوب فيها سيقود المتخلّفين عنها إلى الغرق والهلاك، فانّ التخلّف عنهم تخلّف عن القادة إلى شاطئ الهدى والنجاة.

نقل الشبراوي الشافعي عن رافع مولى أبي ذر، قال:

(صعد أبو ذر رضي الله عنه على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب واستظهره إليه، وقال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول:

---

(٦٧) مسند أحمد بن حنبل / ج ٣ / ص ١٧.

«أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها زجّ في النار».

وسمعت رسول الله يقول:

«اجعلوا آل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإنّ الجسد لايهتدي إلّا بالرأس، ولايهتدي الرأس إلّا بالعينين»)(٦٨).

وروى أبو نعيم(٦٩) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»)(٧٠).

روى بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»(٧١).

---

(٦٨) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / مقدمة المؤلف / ص ٢٦.

(٦٩) أبو نعيم / حلية الأولياء / ج ٤ / ص ٣٠٦، نقلاً عن الفيروزآبادي / فضائل الخمسة من الصحاح الستة / ج ٢ / ص ٦٤، ذكره ابن حجر في زوائد مسند البزّار / باب أهل البيت والأزواج / ص ٢٧٧، ونقله الهيثمي عن ابن البزار في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ١٢٥ / (مسند الإمام الحسن عليه السلام) / في نسخة مخطوطة بالظاهرية بدمشق، ورواه المحب الطبري، في ذخائره / ص ٢٠، ورواه الحاكم في المستدرك مع زيادة في ألفاظه / ج ٢ / ص ٣٤٣، ونقله المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٦.

(٧٠) روى هذا الحديث الحاكم في مستدرك الصحيحين / ج ٢ / ص ٣٤٣، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم، ورواه المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٦، والهيثمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٦٨، ورواه محبّ الدين الطبري في ذخائره / ص ٢٠، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه / ج ١٢ / ص ١٩.

(٧١) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٥.

ورواه السيوطي في الدرّ المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى:

(﴿وإذ قُلْنا ادخُلوا هٰذِهِ القَرْيَةَ فكُلوا منها حَيثُ شِئْتُم رَغَداً وادْخلوا البابَ سُجّداً وقُولوا حِطّة نَغْفر لَكُمْ خَطاياكُمْ﴾. (البقرة / ٥٨)

قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«إنّما مثلنا في هذه الأمّة كسفينة نوح وكباب حطّة») (٧٢).

ورواه المتقي في كنز العمال (ج ٦ / ص ٢١٦)، ولفظه:

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل، وقال: أخرجه الطبراني عن أبي ذر» (٧٣).

٣ ـ حديث الأمان من الاختلاف:

في هذا الحديث يوضّح رسول الهدى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم دور أهل البيت العقائدي والسياسي، فإنّ أخطر ما يصيب الأمّة هو الفرقة والخلاف في الرأي والمعتقد والاتجاه السياسي، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخشى على أمّته من هذه الفتنة، وكان يخطط لوحدتها وتماسكها الفكري والسياسي، ويوجّه إلى الالتزام والتمسّك بأهل بيته والرجوع إليهم، لذا وصفهم بأنهم ملازمون للقرآن ودعوته، ولا يفارقونه إلى يوم القيامة، وبأنهم سفينة النجاة وباب حطّة.

وهنا يصفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم الإطار الجامع، والمحور الموحّد لهذه الأمّة، وأنّ التمسّك بهم، والسّير على نهجهم، ضمان من الفرقة والخلاف.

---

(٧٢) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٥.

(٧٣) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٥.

أخرج الطبراني عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»(٧٤).

وروى محب الدين الطبري عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

قال: أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب(٧٥).

٤ ـ حديث الكساء:

وحديث الكساء(*) هو الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في (عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)، عند نزول آية التطهير، وقد سبق وأن تحدّثنا عن ذلك، وأوردنا آراء بعض المفسرين والروايات الواردة في هؤلاء المطهّرين في بحث (أهل البيت في القرآن)، ونعود هنا فنورد روايات أُخرى لتعزيز الفكرة، وتعميق الغاية التي توخّاها رسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم من وراء ذلك.

وطريق هذا الحديث وأسانيده كثيرة في كتب الحديث والرواية والتفسير نذكر منها:

---

(٧٤) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ٢٠. أخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين / ج ٣/ ص ١٤٩، وقال عنه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه، كما أورده المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٧، وذكره ابن حجر في صواعقه وصحّحه / ص ١٤٠.

(٧٥) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٨.

(*) سمّي حديث الكساء لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع أهل بيته الأربعة وجلّلهم بكسائه.

(وأمّا ما روي عن أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (رضي الله عنها)، فروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده يرفعه إلى أمّ سلمة قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي يوماً إذ قال الخادم إنّ عليّاً وفاطمة بالسدة، قالت: فقال لي النبيّ: قومي، تنحّي عن أهل بيتي، قالت: فقمت فتنحّيت في جانب البيت قريباً فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الحسن والحسين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق عليّاً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى وجلّلهم بخميصة(*) سوداء، وقال:

«اللّهمّ إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي، قالت أمّ سلمة: وأنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وأنتِ(**)»).

وروى الواحدي في كتابه المسمّى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أمّ سلمة (رضي الله عنها) أنّها قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بيتها يوماً فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، فجاء عليّ والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جالساً على دكّة، وتحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة قريباً منهم، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الكساء، فغشاهم به ثمّ قال:

«اللّهمّ أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً».

قالت: فأدخلت رأسي، قلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّكِ إلى خير، إنّكِ إلى خير، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّركم تَطهيراً﴾(٧٦).

(*) الخميصة: كساء أسود مربّع له علمان.

(**) يعني بقوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنتِ لستِ إلى النار.

(٧٦) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٥ ـ ٢٦.

٥ ـ حديث المودّة :

وحديث المودّة قد تحدّثنا عنه عند تفسير آية المودّة أيضاً : وذكرنا بعض رواته وأسانيده، ونعود هنا أيضاً فنذكره مرّة أُخرى . كما أنّ من المفيد أن نذكر بعض ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حبّ أهل بيته ومودّتهم من روايات وأحاديث أُخرى .

(أخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية :

﴿قُلْ لا أَسأَلُكم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبى﴾ . (الشورى / ٢٣)

قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«عليّ وفاطمة وابناهما» .

وروى البزاز والطبراني أن الحسن بن عليّ عليه السلام خطب يوماً فقال :

«من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن آل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم، وأنزل فيهم : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّةَ في القُربى ومَن يَقترِف حسنةً نَزِد له فيها حُسْناً﴾ . فاقتراف الحسنات مودّتنا أهل البيت»)(٧٧) .

(وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنه ، في قوله تعالى : ﴿ومَن يَقتَرِف حسنةً نَزِد له فيها حُسْناً﴾ .

قال : المودّة لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم)(٧٨) .

---

(٧٧) الشيخ الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الاشراف / ص ١٧ ـ ١٨ .

(٧٨) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٩ .

والأحاديث الواردة في مودّة أهل البيت وحبّهم وطاعتهم والالتزام بهم لا يمكن إحصاؤها في هذا الكتاب وإنما اخترنا بعضاً منها وكلها شموس مضيئة في كتب الحديث والرواية، ولغرض زيادة ثروة القارئ نذكر بعضاً من الأحاديث الواردة فيهم:

[أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن حجر رضي الله عنه، قال: آخر ما تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أخلفوني في أهل بيتي»](٧٩).

[أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما)، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته وهو يقول:

«أيّها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً»](٨٠).

[أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي»](٨١).

(٧٩) رواه السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الطبراني في الأوسط بسنده عن ابن عمر / ص ٢٠. كما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣، كما أورده ابن حجر في الصواعق المحرقة / ص ٩٠.

(٨٠) أورده السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الطبراني بسنده عن جابر بن عبدالله / ص ٢٢. كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٧٢، نقلاً عن الأوسط للطبراني.

(٨١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل عليّ بن أبي طالب بسنده عن يزيد بن حيان بزيادة في ألفاظه / ج ٤ / من الصحيح / ص ١٨٧٣. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده وفق ما رواه مسلم / ج ٤ / ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧. كما رواه المتقي في كنز العمال في الجزء الأوّل / ص ١٥٨، وفي الجزء السابع / ص ١٠٢. وأورده السيوطي أيضاً في تفسيره الدرّ المنثور / ج ٦ / ص ٧، وقال عنه: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم، ورواه السيوطي أيضاً في كتابه احياء الميت / ص ١١.

(أخرج الخطيب في تاريخه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «شفاعتي لأمّتي من أحبّ أهل بيتي»)(٨٢).

٦ ـ روايات أُخرى:

كما أوضحنا فإن الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته كثيرة، ولا يمكن احصاؤها في هذا الكتاب، فقد أورد لها العلماء والمحدّثون الكتب أو الفصول في كتب الحديث، أو ذكروها في الموارد المناسبة من التفسير وكتب الرواية، نذكر منها:

«نحن أهل البيت لا يُقاس بنا أحد»(٨٣).

فهو في هذا الحديث الشريف يوضّح مقام أهل البيت عليهم السلام السامي، وموقفهم الفريد، ليعرّف الأمّة بمكانتهم، ويرشدها إلى التمسّك بهم، والالتزام بعده بنهجهم وليوازن بينهم وبين غيرهم.

وفي حديث آخر يتحدّث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، فيقول:

«إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي أثرة وشدّة وتطريداً في البلاد، حتى يأتي قوم من ها هنا ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ أصحاب رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينتصرون، ويعطون ما شاؤوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على

(٨٢) رواه الخطيب في تاريخه / ج ٢ / ص ١٤٦ بزيادة على المتن، كما أورد الحديث المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٧ / تحت رقم ٣٨٠٠، ورواه السيوطي في احياء الميت بفضائل أهل البيت / ص ٣٧.

(٨٣) الطبري / ذخائر العقبى / ص ١٧.

الثلج»[٨٤].

(وأخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«إشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي»)[٨٥].

(عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال:
حبّ نبيّكم.
وحبّ أهل بيته.
وعلى قراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظلّ الله، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، مع أنبيائه وأصفيائه»)[٨٦].

(أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع:
عن عمره فيم أفناه.
وعن جسده فيم أبلاه.
وعن ماله فيم أنفقه ومن أين أكتسبه.
وعن محبّتنا أهل البيت»)[٨٧].

---

(٨٤) المصدر السابق / ص ١٧.

(٨٥) أخرجه السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الديلمي بسنده عن أبي سعيد / ص ٤٣. وذكره المناوي في فيض القدير / ج ١ / ص ٥١٥، وقال عنه: أخرجه الديلمي في الفردوس.

(٨٦) رواه السيوطي في احياء الميت / ص ٤٠ ـ ٤١، وقال: أخرجه الديلمي عن عليّ، كما ذكره المتقي في كنز العمال / ج ٨ / ص ٢٧٨، كما ذكره ابن حجر في صواعقه المحرقة / ص ١٠٣.

(٨٧) رواه السيوطي في احياء الميت / ص ٣٩، نقلاً عن الطبراني بسنده عن ابن عباس،

وفي رواية يرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُمّته إلى أهل بيته ويوضّح مقامهم العلمي، ويوجهها نحوهم إذا اشتدّت الفتن وتضاربت الآراء، فيقرنهم بكتاب الله لأنّهم العلماء المفصحون عن مضمون القرآن، والعارفون بحقيقته ومحتواه.

(أخرج الطبراني عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجحفة، فقال:

«ألستُ أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنّي سائلكم عن اثنين: عن القرآن وأهل بيتي») (٨٨).

← وقد ذكره المتقي في كنز العمال / ج ٨ / ص ٢١٢، وقال: نقله الطبراني عن ابن عباس ثمّ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ١٠ / ص٣٤٦، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

(٨٨) رواه السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الطبراني بسنده عن المطلب بن عبدالله عن أبيه / ص ٣٨، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٥ / ص ١٩٥، ورواه أيضاً ابن الأثير في أُسد الغابة / ج ٣ / ص ١٣٧)، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء / ج ٩ / ص ٦٤، بسنده عن عليّ عليه السلام.

القرآن الكريم
عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . (الحجر / ٩)

القرآن كتاب الله ووحيه المنزل على بنيه الكريم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي صانه الله من التشويه والتحريف ، وهذا الوحي الإلهي المقدّس الذي لم تمسّه يد التحريف ، لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه ، هو اليوم كما هبط على رسوله الأمين من غير نقص أو زيادة .

وهو مصدر الشريعة ، ومادة التشريع ، وميزان السنّة ، ومقياس الفهم والتفكير ، ومنبع الحضارة والمعرفة الإسلامية ، ومصدر خير الإنسانية وسعادتها .

لقد تداول المسلمون هذا الوحي الإلهي جيلاً بعد جيل ، نقلوه بدقة وأمانة كما بلّغه جبريل عليه السلام للنبيّ الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك ما أجمع عليه المسلمون ، كما أجمعوا على تكذيب الروايات الضعيفة والمدسوسة التي تخالف هذا الإجماع .

قال المفسّر الكبير صاحب تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن) العلّامة الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (*) (أعلى الله مقامه) ، الذي يعتبر تفسيره مصدراً ومرجعاً للعلماء والمفسّرين :

(*) الشيخ الطبرسي من أعلام المفسّرين وأكابر علماء الشيعة الامامية في القرن السادس الهجري .

(ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامّة أنّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى (*) (قدّس الله روحه)، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع أن العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الفائقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً (قدّس الله روحه): إنّ العلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه والمزني، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لو أن مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني. ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.

وذكر أيضاً عليه السلام أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً

(*) السيد المرتضى: هو عليّ بن الحسين، وهو أحد أعاظم علماء الشيعة الامامية في القرن الرابع الهجري، وهو تلميذ الشيخ المفيد واستاذ الشيخ الطوسي، مؤسس جامعة النجف الاشرف، توفي عام (٤٣٦) هـ.

مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه وأنّ جماعة من الصحابة، مثل عبدالله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عدّة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمّل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته)(٨٩).

ثمّ قال:

(إنّ المشهور بين علماء الشيعة ومحقّقيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف)(٩٠).

وقال شيخ المحدّثين محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي الملقب بالصّدوق (ت ٣٨١ هـ) مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه، وعشرات الكتب القيّمة. في رسالته المعروفة باعتقادات الصدوق:

(إعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ـ إلى أن قال ـ ومن نسب إلينا أنّا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب، ثمّ شرع في إقامة البرهان على ذلك، فراجع تمام كلامه)(٩١).

---

(٨٩) الشيخ الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / مقدمة التفسير / باب الفن الخامس.

(٩٠) الطبرسي / مجمع البيان / مقدمة التفسير / باب الفن الخامس.

(٩١) الشيخ لطف الله الصافي / مع الخطيب في خطوطه العريضة / ص ٤٢.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) مؤلف كتاب الخلاف والمبسوط، والتهذيب، والاستبصار وغيرها في تفسيره المسمّى بالتبيان[٩٢]:

(أمّا الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله، وهو الظاهر في الروايات ـ إلى أن قال ـ ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته، والتمسّك بما فيه، وردّ ما يردُ من اختلاف الأخبار في الفروع إليه، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رواية لا يدفعها أحد، أنه قال:

«إنّي مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وهذا يدل على أنّه موجود في كل عصر، لأنّه لا يجوز أن يأمر بالتمسّك بما لا تقدر على التمسّك به، كما أنّ أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحّته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره، وبيان معانيه، ونترك ما سواه).

ودوّن العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي في تفسيره (آلاء الرحمٰن في تفسير القرآن) هذه الحقيقة الكبرى، خلود القرآن وسلامته من التحريف والتزييف.

قال أعلى الله مقامه:

(فاستمر القرآن على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل، ترى له في كل آن الوفاً مؤلفة من المصاحف وألوفاً من الحفّاظ ولا تزال

(٩٢) الشيخ الطوسي / تفسير التبيان / ج ١ / ص ٣ / ط النجف.

المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض، تكون ألوف المصاحف رقيبة على الحفاظ، وألوف الحفّاظ رقباء على المصاحف، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدّد منها، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف وألوف الألوف، فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلّت آلاؤه بقوله في سورة الحجر:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وقوله في سورة القيامة:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

ولئن سمعت في الروايات الشاذّة شيئاً في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزناً، وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين، وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن)(٩٣).

ونقل في تفسيره أيضاً تحت عنوان: (قول الامامية بعدم النقيصة في القرآن): (ولا يخفى أن شيخ المحدّثين المعروف بالاعتناء بما يروي وهو الصّدوق (طاب ثراه)، قال في كتاب الاعتقاد: إعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّا نقول أنّه أكثر من ذلك فهو كاذب).

وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد رحمه الله أنّه قال جماعة من أهل الإمامة أنه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في من مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله.

---

(٩٣) الشيخ البلاغي / آلاء الرحمن في تفسير القرآن / ج ١ / ص ١٨ / ط ٢.

وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن، المبحث الثامن، في نقصه: لا ريب أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديّان، كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء.

وعن الشيخ البهائي: وأيضاً اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه، والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان ونقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.

وعن المقدّس البغدادي في شرح الوافية:

(وإنّما الكلام في النقيصة المعروف بين أصحابنا حتى حكي عليه الاجماع عدم النقيصة أيضاً، وعنه أيضاً عن الشيخ عليّ بن عبد العالي أنه صنّف في نفي النقيصة من الأحاديث، وأجاب، بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنّة المتواترة أو الاجماع، ولم يمكن تأويله، ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه)(٩٤).

وقال العلّامة المغفور له المجاهد المعاصر الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها):

(إنّ الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه ـ رسول الله ـ للإعجاز والتحدّي، وإنّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم).

وقال الشريف المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين في الفصول المهمّة في تأليف الأمّة:

(والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، إنما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا

---

(٩٤) الشيخ البلاغي / مقدمة / آلاء الرحمن في تفسير القرآن.

تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة، وكان مجمعاً على ذلك العهد الأقدس، مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مراراً عديدة، وهذا كلّه من الأُمور المعلومة لدى المحقّقين من علماء الامامية ولا عبرة بالحشوية فإنّهم لا يفقهون).

وقال العالم المتتبع، والرجل الكبير السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في أعيان الشيعة:

(لا يقول أحد من الامامية لا قديماً ولا حديثاً، أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير، فضلاً عن كلهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة، ومن يعتدّ بقوله من محقّقيهم متّفقون على أنه لم ينقص منه).

هذا هو القرآن والنظرة إليه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو الآن بين يدي المسلمين كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو باق ما بقي الإنسان على سطح هذه الأرض يضيء للبشرية درب الحياة، ويأخذ بيدها إلى حيث الهدى والرشاد.

ويرى العلماء والباحثون والمحققون أن ما يتدواله البعض من روايات وأقاويل تتحدّث عن نقيصة القرآن في إطار السنّة والشيعة إن هو إلّا وضع ودس من قبل الكذابين والمرفوضين عند أهل العلم والدراية.

كما أن هناك روايات قد يفهم من ظاهرها دون الدقّة في القراءة والفهم ما يؤدّي إلى القول بنقص القرآن أو وجود مصحف آخر كما اشتبه الأمر فيها على بعض الأشخاص واستغلّه مغرضون ومسيؤون للإسلام، وهي ما ورد في بعض الأخبار التي تروى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وبغضّ النظر عن صحّة الرواية وعدمها، من أنه قال:

«... ولكن والله ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ إنّ عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه ودرعه، وعندناه والله مصحف فاطمة، ما فيه آية من كتاب الله، وإنّه لإملاء (من إملاء) رسول الله وخطّه عليٌّ بيده»(٩٥).

لقد توهّم البعض من الناس أنّ الإمام الصادق ـ وحاشاه من ذلك ـ يخبر بوجود مصحف (قرآن) غير هذا القرآن، فصار في أفواه البعض بوقاً للمدس والتشويه.

إنّ دراسة ما ورد في الخبر واضحة لأبسط الناس الذين لهم معرفة باللغة.

فالإمام الصادق عليه السلام يقول: «عندنا والله مصحف فاطمة».

إنّ العودة إلى كلمة (مصحف) في لغة العرب تجعلنا نفهم معنى قول الإمام الصادق عليه السلام.

قال الراغب الأصفهاني:

(الصحيفة: المبسوط من الشيء، كصحيفة الوجه، والصحيفة التي يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف، قال تعالى:

﴿صُحُفِ إبراهِيمَ وَمُوسَىٰ * يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيها كُتُبٌ قَيِّمة﴾.

قيل أُريد بها القرآن وجعله صحفاً فيها كتب من أجل تضمنه لزيادة ما في كتب الله.

والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف)(٩٦).

وإذن فكلمة مصحف تعني بمصطلحنا الحاضر الكتاب، وليس هو اسماً خاصّاً لكتاب الله، فهو اسم لكل كتاب يجمع صحفاً (أوراقاً أو جلداً)، وسمّي

(٩٥) العلامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٢٧١ / ط ٣، نقلاً عن بصائر الدرجات.

(٩٦) الراغب الأصفهاني / معجم مفردات ألفاظ القرآن / مادة صحف.

القرآن مصحفاً لأنّه جامع لصحف.

فأسماء كتاب الله هي: القرآن، الذِّكر، الفرقان، الكتاب[٩٧]، ولم يسمّه الوحي مصحفاً، بل سمّاه المسلمون حين جمعوه (بالمصحف)، لأنّه أصبح بعد جمعه مجموعة من الصحف.

وإذن فمصدر الخلط هو القضية الاصطلاحية والاستعمال اللغوي في ذلك العصر الذي لم يكن يتبادر منه المعنى المتبادر لدى الناس في هذا العصر.

ثمّ يوضح الإمام معنى هذا المصحف ليرفع الاشتباه المحتمل، فيقول:

(ليس فيه آية من كتاب الله).

أي هو ليس قرآناً، ولا من القرآن، وليس وحياً إلهياً (إنّما هو من إملاء رسول الله) و(خطّ عليّ).

وينقل بعض العلماء أنه مجموعة من الأدعية والارشادات التي أملاها رسول الله للزّهراء عليها السلام لتربيتها وتعليمها.

وهكذا يتّضح لنا الخطأ والخلط والتزييف الذي ذهب إليه البعض من المسلمين، بسبب سوء الفهم، وسوء القصد أحياناً.

---

(٩٧) الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / المقدمة.

القرآن الكريم
في روايات أهل البيت عليهم السلام

من يتتبّع الرّوايات والأحاديث الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام ويدرس سيرة حياتهم وعلاقتهم بكتاب الله لا يجد لأهل البيت عليهم السلام اهتماماً وعناية بشيء كاهتمامهم وعنايتهم بكتاب الله عزّ وجلّ، سواء في سيرتهم، أو فيما رووا وحدّثوا، أو في ما أوصوا وربّوا ووجّهوا أتباعهم وتلامذتهم وأبناء المسلمين كافّة.

روى جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(«أيّها الناس إنّكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الّليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقرّبان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز».

قال: فقام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله، وما دار الهدنة، قال:

«دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفع، وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى،

ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلّص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص، وقلّة التربّص»)(٩٨).

وورد عن الامام الصادق عليه السلام:

«الحافظ للقرآن، العامل به، مع السفرة الكرام البررة»(٩٩).

وجاء عن الامام عليّ بن الحسين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أعطاه الله القرآن فرأى أنّ رجلاً أُعطي أفضل ممّا أُعطيَ، فقد صغّر عظيماً، وعظّم صغيراً»(١٠٠).

وجاء عن الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا الله عزّ وجلّ فيما حملكم من كتابه، فإنّي مسؤول وإنكم مسؤولون، إنّي مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأمّا أنتم فتُسألون عمّا حملتم من كتاب الله وسنّتي»(١٠١).

وجاء عن الصادق عليه السلام:

«ينبغي للمؤمن أن لايموت حتى يتعلّم القرآن، أو يكون في تعليمه»(١٠٢).

وجاء عن الصادق عليه السلام:

«القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده،

---

(٩٨) الكليني / الأصول من الكافي / ج ٢ / كتاب فضل القرآن / ص ٥٩٨ / ط ٣.
(٩٩) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٣.
(١٠٠) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٥.
(١٠١) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٦.
(١٠٢) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٧ / باب تعلّم القرآن.

وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١٠٣].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام :

«ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله، وعالم بين جُهّال، ومصحف مُعلّق قد وقع عليه الغبار لا يُقرأ فيه»[١٠٤].

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام :

«إنّ القرآن حي لم يمت، وأنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلمّ ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده دواء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولاّه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به،

---

(١٠٣) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٩.

(١٠٤) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦١٣.

وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»(١٠٥).

وهكذا نعرف قيمة القرآن وقدره في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومنهجهم، وهي القيمة الحقيقية التي نطق بها القرآن ووصفه الوحي بها:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. (الإسراء / ٩)

فهو دستور الأمّة، ومنبع العلم والهداية، ومصدر المعرفة والثقافة، ومنهج الفهم والتفكير، وميزان الحضارة والسلوك، والقانون العلمي لتنظيم الحياة الإنسانية، والوعاء الجامع لسنن الحياة الإنسانية وقوانينها.

(١٠٥) نهج البلاغة / خطبة ١٩٨.

أُسس
لفهم القرآن الكريم وتفسيره

ذكرنا فيما سبق كيف أثبت منهج أهل البيت عليهم السلام ، ومدرستهم أن كتاب الله خالد لا تمسّه يد التحريف، وهو سجل القانون الإلهي الخالد، ومصدر التشريع، والمقياس الحاكم في صحّة الرّوايات والحديث، والحجّة في تثبيت الخطأ والصواب.

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(إذا جاءكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط)(١٠٦).

بعد أن ثبت كل ذلك، ونفيت الأقاويل والأباطيل، نجد أنّ هذا المنهج الإسلامي الأصيل قد كشف للمسلمين وحدّد لأهل العلم والمعرفة كيفية فهم القرآن والتعامل مع النص القرآني، فإنّ هذه القضية، قضية فهم القرآن وتفسيره وتأويله قضية أساسية يتوقف عليها سلامة الفكر الإسلامي وصحّة العقيدة والتشريع والمعرفة الإسلامية، ذلك لأن أي انحراف أو قصور أو تقصير في فهم القرآن، واكتشاف الخزين التشريعي والعقائدي، واستنباط أحكامه ومفاهيمه وقوانينه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والقضائية ... الخ، يؤدي إلى الانحراف وتفرّق المسلمين وضياع الأصالة والنقاء الإسلامي.

---

(١٠٦) الطبرسي / مقدمة مجمع البيان / ج ١ / ص ١٣.

وفي بدء الحديث عن هذا الموضوع الأساس والخطير يجب أن نفرّق بين: التفسير، والتأويل.

فالتفسير عند اللّغويين: هو عبارة عن «كشف معنى اللّفظ وإظهاره»(١٠٧).

وعُرّف التأويل: بأنّه ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر(١٠٨).

وجاء في تعريف أحمد رضا بالتفسير قوله:

(التفسير مأخوذ من فسّر المشتق بالاشتقاق الكبير من السّفْر، وهو الكشف والظهور، يقال أسفر الصبح إذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته.

أو هو مأخوذ من فسر يفسر ـ كَضَرَبَ يَضْرِبُ، أو كَنَصَرَ يَنْصُر ـ فَسْراً، والفسر هو الإبانة وكشف المغطّى، تقول فسّرت الشيء، إذا بيّنته)(١٠٩).

وعرّفه الشيخ الطبرسي (أعلى الله مقامه) في مقدّمة تفسير الجليل القدر (مجمع البيان في تفسير القرآن) بقوله:

(التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، والتفسير: البيان.

وقال أبو العباس المُبَرِّد:

التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقيل الفَسْر: كشف المغطّى، والتأويل: انتهاء الشيء ومصيره، وما يؤول إليه أمره.

والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلاناً: أي قصدته، فكأن المراد من قولهم عني به كذا، قصد بالكلام: كذا. وقيل هو من قولهم: عنيت بهذا الأمر: أي

---

(١٠٧) الطريحي / مجمع البحرين / مادّة فسر.

(١٠٨) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.

(١٠٩) أحمد رضا / من مقدمة لمجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي / ج ١ / ص ١.

تكلّفته)[١١٠].

المنهج في تفسير القرآن:

إذا كان التفسير هو بيان معاني كلمات القرآن وجُمَلِهِ والكشف عنها، ولما كانت بعض كلمات القرآن وجمله يمكن أن تفسّر تفسيراً ظاهرياً يبعدها عن المقصود الحقيقي للقرآن كان التأويل هو عملية الكشف عن المعنى المقصود، بإرجاع المعنى المستودع في الآية ـ بعد التردّد بين إحتمالين[*] أو أكثر ـ إلى ما يؤول إليه: وهكذا فإن المحصلة التي نخلص إليها هي تساوي التفسير والتأويل في النتيجة، وهي إيضاح معاني القرآن وبيان ما أراده الله سبحانه أن يبيّنه لعباده.

ومن يستقرئ كتب التفسير، ومناهج المفسّرين يجد أنّ هناك ثغرات واضحة ومهاوي خطرة قد وقع فيها بعض المفسّرين فشذّوا عن هدف التفسير بسبب مناهج التفسير التي اتبعوها، وكيفية التعامل مع آيات القرآن، فاعتمدوا تارة على روايات ضعيفة أو مدسوسة، وأُخرى على هوى النفس فأخضعوا القرآن لما يرضي متبنّياتهم وأهواءهم الخاصة، وطبّقوا معاني الآيات على حوادث وأشخاص ووقائع لم يقصدها القرآن الكريم، بل طبّقوها تعزيزاً لآرائهم وميولهم الخاصة.

ومن أمثلة الشّذوذ في التأويل ما حمّله بعض الفلاسفة والمتكلّمين للآيات القرآنية بعد أن آمنوا بأفكار ومذاهب كلامية وفلسفية ثم أخضعوا معاني الآيات لها.

---

(١١٠) الطبرسي / مقدمة مجمع البيان / ج ١ / ص ١٣.

(*) من الأمثلة على التأويل: تأويل الآية الكريمة: ﴿وسع كرسيّه السّموات والأرض﴾، فيؤوّل الكرسي بالعِلْم والسّلطان والهيمنة... الخ، وليس بالكرسي المادي.

ومنها ما يتّجه إليه بعض الكتّاب والمفسّرين في تطبيق الآيات وفقاً للنظريات العلمية والأفكار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يجدها مطروحة عند الكتّاب وأصحاب النظريات الشائعة في عصرهم قولاً برأيهم ومن غير وجود تناسب حقيقي وانطباق صادق، وهكذا نجد جرّ الآيات إلى هوى النفس، وتسليم المفسّر سلفاً بحقائق، ثم محاولة جرّ القرآن إليها في مجالات كثيرة، قديماً وحديثاً.

وقد وقع كثير من المفسّرين بهذا الخطأ من مختلف مذاهب المسلمين سنّة وشيعة وغيرهم، ثم أوردوا المبررات وحجج الدفاع لاثبات ما يذهبون إليه.

وبالعودة إلى المنهج الإسلامي الأصيل في التفسير نجد أنّ هذا المنهج يرفض هذا الاتجاه ويثبت الأسس الصحيحة للتفسير.

فالتفسير كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما بيّنه منهج أهل البيت عليهم السلام ومن سار بنقاء وأصالة على منهجهم، والمفسّرون الملتزمون، له أسسه وقواعده التي تقود المفسّر والباحث في كتاب الله إلى الصواب وخصوبة العطاء.

ولنقرأ ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الهداة صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء الأمّة في وضع الأُسس السليمة للتفسير وإقامة الموازين والضوابط المحافظة على هذا العلم الجليل، ليؤدّي دوره بدقّة وسلامة، ويغني دنيا الإنسانية بالمعاني والأفكار والمفاهيم والأحكام، بعيداً عن الضياع والتخرّص والتحميل والقول بالرأي وإخضاعه لهوى النفس.

ذكر الطبرسي: (أنّه قد صحّ عن النبيّ، عن طريق أهل البيت عليهم السلام، إنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح، والنص الصريح)(١١١).

---

(١١١) الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / المقدمة / ص ١٣.

إنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا ينهجون هذا المنهج ويرفضون تفسير القرآن بعيداً عن هذين الأساسين:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن: أي أنّ الآيات يفسّر بعضها بعضاً.

٢ ـ تفسير القرآن بالروايات والأحاديث الصحيحة.

وهكذا فإن التفسير يجب أن يلتزم بهذين الأساسين التزاماً كاملاً، ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن للعقل دوره الأساس والرائد في فهم القرآن، وتفسير معانيه، وتوجيه ظواهره، شريطة أن يلتزم بحدود الكتاب والسنّة، ولا يخرج على معالم الخط العام لها. وقد أعطى الرسول الكريم للعقل دوراً بارزاً في تفسير القرآن بقوله:

«القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه»[١١٢].

وورد عنه أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم:

«أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه»[١١٣].

ووضع القرآن دور العقل في التفسير، وامتدح أصحاب العقول التي تستنبط من القرآن بقوله:

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

وذم أولئك الذين عطّلوا التفكير والتأمّل العقلي في آيات القرآن الحكيم، واكتشاف معانيه ومضامينه بقوله:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. (محمد / ٢٤)

وإذن فالتفسير في منهج أهل البيت عليهم السلام يقوم على أسس ثلاثة:

---

(١١٢) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.

(١١٣) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ تفسير القرآن بالسنّة.

٣ ـ تفسير القرآن بالعقل الملتزم بالكتاب والسنّة.

وهكذا نجد أن للتفسير أسسه وضوابطه، وأن ما ورد من تفاسير دخل فيها الرأي الشخصي، أو تبينت فيه بعض نظريات العلم التي عاصرها المفسّر أو آراء فلسفية وكلامية، أو ما استند على روايات ضعيفة، أو ساقطة السند، أو مخالفة لصريح القرآن أو السنّة القطعية، أو ما طبّقها المفسّر برأيه وميله الشخصي وأمثال ذلك، فإنه مرفوض في منهج أهل البيت عليهم السلام ومن سار على هداهم من علماء ومفسّرين، وكم تجد في تفاسير المسلمين سنّة وشيعة من آراء وتفسيرات غير ملتزمة بهذا الخط الإسلامي، وغير معبّرة عن روح القرآن.

لذا فلا يصحّ أن نقيم لها وزناً، أو ندين بها إلّا من يلزم نفسه بصدقها.

ومهما يكن المفسّر فالقرآن حجّة عليه، وليس هو حجّة على القرآن، ولا يكون حجّة على المسلمين إلّا بقدر ما يصيب ويشخص من صواب ويكتشف من حقيقة.

وقد ورد النهي عن القول بلا علم ولا دليل عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام قوله:

«ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إن الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض»[١١٤].

وورد عن الامام الصادق عليه السلام:

«كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة»[١١٥].

---

(١١٤) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٥.

(١١٥) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

السنّة النبويّة

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

«نَضَّرَ الله عبداً سمعَ مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها كما سمعها، فَرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه»[116].

السنّة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله، من مصادر التشريع التي يعتمدها المسلمون في استنباط الأحكام والقوانين والقيم الإسلامية، فهي تتحمّل مسؤولية: (بيان وإيضاح وتفسير كتاب الله وصياغة مضامينه ومحتواه التشريعي والفكري والتربوي).

فالنصّ القرآني يحمل غنى وثروة فكرية وتشريعية عظيمة وخالدة، تعهّدت السنّة ببيانها، والكشف عنها، وليس بوسع العقول أن تدرك من كتاب الله ما تدركه السنّة وتكشف عنه، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المخاطب بالوحي، وهو العالم بما في الكتاب العزيز من أحكام ومفاهيم، وما له من مقاصد وأهداف.

لذا فالسنّة هي المعين الذي لا ينضب، والحق الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، وهي التشخيص الأمين لقوانين الحياة، ونظام سعادة الإنسان، وهي خالدة خلود القرآن، قال الله تعالى:

﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُم عَنْهُ فانْتَهُوا﴾. (الحشر / ٧)

---

(١١٦) زين الدين العاملي / الدراية / ص ١١٣ / مطبعة النعمان.

وقال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾. (الأحزاب / ٢١)

وقال تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾. (النساء / ٥٩)

ولقد التزم أهل البيت عليهم السلام ومن سار على منهجهم في التفسير والحديث والفقه والتشريع والعقيدة بهذا المنهج، وكافحوا وضحّوا وتحمّلوا الأذى والسجون والقتل والتعذيب والتشريد من أجل الحفاظ على السنّة المطهّرة، وتطبيقها إلى جانب كتاب الله المجيد.

لقد عُرِّضت السنّة المطهّرة للدسّ والتزييف والتحريف من قِبَل الكذّابين والمندسّين في الإسلام، والحاقدين عليه، لتشويه هذه الرسالة الإلهيّة الخالدة، وحرف مسار الأمّة الإسلامية.

وكان لأهل البيت عليهم السلام الدور الطبيعي في حفظ السنّة المطهّرة وحملها وتبليغها بصدق وأمانة، والكشف عن محتواها بعمق ودقّة.

لذا حاربوا البدع والضلالات ونادوا بالالتزام بالكتاب والسنّة، وجعل كتاب الله مقياساً للسنّة النبويّة، ذلك لأن كتاب الله محفوظ من التزييف والتحريف، فهو ـ لله الحمد ـ محفوظ كما بلّغه جبريل عليه السلام للنبيّ الأمين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

فلم تمسّه يد التحريف أو الدسّ والتلاعب، لذلك نجد أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقول:

«أيّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجالٌ رجالاً، فلو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي

حجبى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث[*] ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[117].

وروى أبو بصير أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنّة، فننظر فيها؟ فقال: لا. أما انّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عزّ وجلّ»[118].

ثم قال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار».

وقال عبدالله بن أبي يعفور: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، ومنهم من لا نثق به؟ قال:

«إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله، أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»[119].

وعن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«كلّ شيء مردود إلى كتاب الله والسنّة، فكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[120].

(*) الضغث: القبضة من الحشيش أو الريحان. يؤخذ من هذا ضغث: يؤخذ منه شيء.

(١١٧) محمّد باقر البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٨ / ط ١٤٠١ هـ.

(١١٨) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٩.

(١١٩) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

(١٢٠) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

وعن أيوب بن راشد عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال:

«ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»(١٢١).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من تمسّك بسنّتي في اختلاف أُمّتي كان له أجر مائة شهيد»(١٢٢).

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن السنّة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

«السنّة ما سَنَّ رسول الله، والبدعة ما أُحدِثَ من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»(١٢٣).

وعن عليّ عليه السلام:

«السنّة سنّتان: سنّة في فريضة، الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنّة في غير فريضة، الأخذ بها فضيلة، وتركها غير خطيئة»(١٢٤).

وعن الامام الباقر عليه السلام:

«كل من تعدّى السنّة ردّ إلى السنّة»(١٢٥).

وعنه عليه السلام:

«إنّ السنّة لا تقاس، وكيف تقاس السنّة والحائض تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة»(١٢٦).

---

(١٢١) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

(١٢٢) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٣) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٤) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٥) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٦) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

وعن أبي عبدالله الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن الامام عليّ عليه السلام :

«إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نوراً. فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف سنّة رسول الله فاتركوه».

وقال عليه السلام :

«رحمَ اللهُ امرءاً حدَّث عن رسول الله، ولم يكذب، فأحجم الناس عنه»(١٢٧).

وقال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

«إذا أتاكم الحديث متجاوباً متفاوتاً. فما يكذب بعضه بعضاً، فليس منّي، ولم أقله، وإن قيل قد قاله، وإذا أتاكم الحديث يصدق بعضه بعضاً، فهو منّي، وأنا قلته، ومن رآني ميّتاً كمن رآني حيّاً، ومن زارني فكنت له شاهداً وشهيداً يوم القيامة»(١٢٨).

وعنه عليه السلام قال لمحمد بن مسلم :

«يا محمّد ما جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ بها»(١٢٩).

وهكذا يتحدّد مفهوم سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم وعلاقة هذه السنّة المباركة بكتاب الله، ودورها في التشريع والتقنين، وبناء الحياة الاجتماعية والتعبّدية للأمّة الإسلامية.

وهكذا نستنتج من هذا المنهج المدرسي :

١ ـ إنّ أيّ قول أو فعل أو تقرير يُنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن

---

(١٢٧) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٨) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

(١٢٩) الطبرسي / مكشاة الأنوار / باب الأخذ بالسنّة.

يقارن بكتاب الله ويتأكّد من صحّته على ضوئه، فما وافق كتاب الله فهو من سنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما خالفه فهو ليس من السنّة بشيء.

٢ ـ إنّ القرآن والسنّة هما مصدرا التشريع والتقنين، ومقياس الأحكام والسلوك ونظام الحياة، وما نجد من أحكام فقهية أو مفاهيم عقائدية يجب أن نطابقها مع الكتاب والسنّة، فما كان منها قائماً على أساس الكتاب والسنّة فهو شريعة وقانون إلهي، نعمل به ونقدّسه، وما خالف الكتاب والسنّة فهو بدعة وضلالة وباطل.

٣ ـ إنّ هناك سنّة ثابتة مقطوع بصدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متطابقة مع كتاب الله يجب أن نعتبرها هي الميزان وأداة الفحص والتنقيح للروايات والأحاديث التي نشك فيها، أو نشتبه في صحّتها، فنثبّت منها ما تطابق مع الكتاب والسنّة الثابتة، ونرفض ما خالف ذلك، وهكذا تجدّد مدرسة أهل البيت عليهم السلام منهج التعامل مع السنّة النبويّة المطهّرة.

أقسام السنّة النبويّة:

يقسم العلماء السنّة النبويّة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الأقوال: وهي كل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث وخطب ووصايا ومراسلات وأمثالها.

٢ ـ الأفعال: ويقصد بها كل فعل صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع الناس، أو في أدائه للعبادات، أو غير ذلك مما يفصح عن الجواز. فكل فعل فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانّا نكتشف منه (الجواز) بصورة أساسية. فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزّه عن فعل الحرام.

إذن يمكننا أن نقول إنّ ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعل يقسم إلى قسمين:

أ ـ الوجوب، فبعض ما صدر عن الرسول كالصلاة والحج والعدل بين الناس... إلخ، يكشف عن وجوب هذا الفعل، وأنّه تكليف وفريضة يجب علينا أن نلتزم بها، ونطبّق أحكامها.

ب ـ وهناك من أفعال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكشف عن الوجوب، بل يكشف لنا عن الإباحة، وكل ذلك يدخل في دائرة الحلال الجائز فعله.

إذن ففعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحتاج إلى تفسير لنعرف الواجب من المستحب من المباح، ويميّز العلماء المتخصصون عن طريق الأدلّة والقرائن ومناهج البحث الأُصولية في فهم وتفسير (الفعل) في السنّة.

٣ ـ التقرير: وهو سكوت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن فعل فعله بعض الناس في عصره، واطّلع عليه، ولم ينه عنه، كالمعاملات الاجتماعية، وبعض التصرّفات الفردية، فإنّ ذلك إقرار وموافقة من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويدخل في باب السنّة.

وهكذا تحدّد مدرسة أهل البيت عليهم السلام كيفية التعامل مع السنّة المطهّرة، وكيفية التأكّد من صحّتها وتفسيرها.

منهج التحقيق والإثبات:

لعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام منهج في تحقيق وإثبات السنّة النبويّة المطهّرة حدّدها أئمة أهل البيت عليهم السلام وبيّنوا أُصولها ومعالمها، وقد أشرنا إلى الرّوايات الواردة في ذلك.

وبناءً على هذه الأُصول تبنّت فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام (المنهج النقدي) في البحث العلمي، فليس لديهم رواية يسلمون بصحّتها ابتداءً، بل ينطلقون من (الشك) في الصحّة ثم يبدأون بالتحقيق والتحرّي، وفحص الرّواية، والتأكّد من صحّة صدورها، فهم يتناولون الأحاديث والرّوايات

واحدة واحدة ثم يحقّقونها. فإن ثبتت صحّتها أقرّوها، واعتمدوها في الاستنباط، واكتشاف القوانين والأحكام والمفاهيم منها، وإن ثبت لديهم عدم صحّتها رفضوها، ولم يعملوا بها، وهكذا يكون منهج البحث الروائي وإثبات السنّة.

وبناءً على ذلك لم يعترف علماء مدرسة أهل البيت (الإمامية) بوجود كتب حديث صحيحة مطلقة الصحّة، بل كل كتاب خاضع للنقد والتحقيق والتمحيص.

فمثلاً من الكتب المشهورة في الرّواية، الجامعة لما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام هي:

١ ـ الكافي للكليني.

٢ ـ الاستبصار للطوسي.

٣ ـ التهذيب للطوسي.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه للصّدوق.

٥ ـ وسائل الشيعة للحر العاملي.

٦ ـ بحار الأنوار للمجلسي.

وغيرها من كتب الحديث والأثر.

إنّ علماء مدرسة أهل البيت الإمامية والملتزمين بمنهجهم في الفقه والتشريع والمعارف الإسلامية يخضعون الأحاديث الواردة في هذه الكتب ويحققونها حديثاً حديثاً. وقد أسقطوا الكثير منها، ولم يقرّوه، بعد أن وضعوه في ميزان التحقيق والبحث العلمي النزيه، والنقد الموضوعي المعطاء.

وكما ينظرون لهذه الكتب الجامعة للحديث ينظرون أيضاً للكتب الأُخرى كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وكنز العمال، وأمثالها من

كتب الحديث والرّواية، ويزنونها بنفس الميزان العملي ويخضعونها لنفس المنهج التحقيقي.

إنّ العلماء يفحصون الرّواية والحديث الذي يصلهم على أساس:

أ ـ فحص السند: ويقصد بالسند، سلسلة الرّواة الذين رووا الحديث والرّواية، فيقوم العلماء بجهد علمي شاق، وتحقيق سند الرّواية، والتأكّد من صدق الرّواة، معتمدين على (علم الرّجال)، الذي يقدّم لهم تعريفاً بشخصيّات الرّواة، ويشهد بصدقهم أو يطعن بهم، ولا يعنيهم من أي مذهب هذا الرّاوي، فإن كان (ثقة وصدوقاً) قبلوا روايته، وإن كان مطعوناً بنزاهته ردّوا روايته، فهم لا ينظرون إلّا إلى صدقه ونزاهته على تفصيلات وأسس مثبّتة في مباحث الحديث.

ب ـ تحقيق المتن: ويقصد بالمتن (النص)، فهم يفحصون لغة المتن ومعناه، ويحقّقون ليتأكّدوا من أن ما ورد فيه لا يخالف كتاب الله، أو سنّة ثابتة، أو حقيقة ثابتة أقرّها الشارع المقدّس كالحقيقة العقلية القطعية.

فإذا ثبت لدى العلماء صحّة السند، وصحّة المتن، قبلوا الرّواية، وإلّا ردّوها، ولا يعنيهم أنها جاءت في أي كتاب من كتب الحديث.

إذن فليس في منهج الفقهاء وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الامامية:

١ ـ تبنّي كتاب حديث صحيح بأكمله أو رفضه بأكمله.

٢ ـ إنّهم يقبلون رواية الراوي بشرط صدقه ووثاقته، بغض النظر عن مذهبه وطائفته.

ومن يراجع كتب أُصول الفقه والرّجال والفقه الاستدلالي يجد هذه الحقيقة واضحة جلية.

وبذا يساهم هذا المنهج العلمي النقدي بالحفاظ على أصالة الشريعة

ونقائها، ووحدة المسلمين والابتعاد عن العصبيّة والجهل والتزمّت، إذ لا مجال للعصبيّة والتزمّت مع المنهج العلمي النقدي المتصف بالموضوعية والنزاهة.

وبهذا المنهج التحقيقي، والعمل النقدي الذي يقوم على أساس الموضوعية والتحرّي العملي وعدم التسليم سلفاً بصحّة أيّة رواية، وبغض النظر عن الرّاوي الذي رواها، أو الكتاب الذي نقلها، إلّا بعد تحقيقها، والتأكّد من سلامة (السند والمتن، لفظاً ومعنى).

أئمة أهل البيت عليهم السلام

الرّواة عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(سأل سماعة الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام قال: «قلت له أكـلّ شيءٍ في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟ فقال: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه»)(١٣٠).

إنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ما كانوا مجتهدين، ولا أصحاب رأي، بل كانوا هم الأئمة الذين ورثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله علم الكتاب والسـنّة، وقاموا بحفظها وبيان فقهها ومحتواها للأُمّة. لذا فإنّ كل ما صدر عنهم كان سنّة، وهم يروون ابناً عن أب عن جد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي ذلك يقول الامام الصادق عليه السلام :

«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث عليّ بن أبي طالب، وحديث عليّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّ وجلّ»(١٣١).

(وعن قتيبة قال: سأل رجل أبا عبدالله ـ الصادق ـ عن مسألةٍ فـأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيتَ إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فـقال له: مَه ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله . لسنا من: «أرأيت» في شيءٍ)(١٣٢).

---

(١٣٠) الكليني / الأُصول من الكافي / ج ١ / ص ٦٢.

(١٣١) نقله العلّامة السيد محسن الأمين / أعيان الشيعة / ج ٣ / ص ٣٤ / ط ٣.

(١٣٢) الكليني / الكافي / المجلد الأول / ص ٥٨ وجاء في حاشية الكتاب لما كان

وفي ذلك يقول الشيخ البهائي:

(جميع أحاديثنا إلّا ما ندر تنتهي إلى أئمتنا الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين، وهم ينتهون فيها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فانّ علومهم مقتبسة من تلك المشكاة)(١٣٣).

وبذا أصبح أئمة أهل البيت عليهم السلام مصدراً للحديث والرّواية، وبيان أحكام الشريعة والكشف عن غوامضها.

إنّ حياتهم المباركة بما أنها حلقات متواصلة مترابطة متفاعلة، لا فاصلة فيها، ولا غريب مجهول يخترق امتدادها حتى تتّصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي تشكّل مدرسة، وتجربة حيّة يتجسّد فيها الإسلام، وتطبّق فيها أحكامه، وتحفظ مبادئه، وكل ذلك يؤكّد لنا الثقة بصفاء المصدر، ونقاء العطاء، وأصالة ما صدر عن آل البيت عليهم السلام.

وإذا عرفنا كل ذلك استطعنا أن نعرف الأجواء والبيئة والمدرسة العلمية التي نشأ فيها وأخذ عنها أتباع أهل البيت عليهم السلام، فنعرف أنّ مدرستهم في الحديث والتفسير ومعارف العقيدة والتوحيد، وسائر علوم الشريعة، إنما هي النقل الأمين، والامتداد النزيه لمعارف النبوّة، ونقاء الشريعة، وأصالة المصدر.

وإذن فلنرتّب حلقات السلسلة المباركة من أئمة أهل البيت عليهم السلام الرّواة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونعرّف لأبناء أُمّتنا مقامهم العلمي والشرعي، فأهل البيت عليهم السلام حين يتحدّثون عن سلسلة رواة حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندهم،

← مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد نهاه عليه السلام عن هذا الظن وبيّن له أنهم لا يقولون شيئاً إلّا بالجزم واليقين وبما وصل إليهم من سيد المرسلين (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

(١٣٣) الشيخ البهائي/ (توفّي سنة ١٠٣٠ هـ)/ الوجيزة (مبادئ عامّة في علم الحديث)/ ص ٢٢.

إنما يتحدّثون عن هذه السلسلة.

١ ـ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولد سنة ٣٠ من عام الفيل، وتوفي سنة ٤٠ من الهجرة.

٢ ـ الحسن بن عليّ عليه السلام، ولد سنة ٣ من الهجرة، وتوفي سنة ٥٠ من الهجرة.

٣ ـ الحسين بن عليّ عليه السلام، ولد سنة ٤ من الهجرة، وتوفي سنة ٦١ من الهجرة.

٤ ـ الامام عليّ بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام، ولد سنة ٣٨ من الهجرة، وتوفي سنة ٩٥ من الهجرة.

٥ ـ الامام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، ولد سنة ٥٧ من الهجرة، وتوفي سنة ١١٤ من الهجرة.

٦ ـ الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، الذي ينسب إليه مذهب أهل البيت عليهم السلام (المذهب الجعفري الامامي)، ولد سنة ٨٣ من الهجرة، وتوفي سنة ١٤٨ من الهجرة.

٧ ـ الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ولد سنة ١٢٨ من الهجرة، وتوفي سنة ١٨٣ من الهجرة.

٨ ـ الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولد سنة ١٤٨ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٠٣ من الهجرة.

٩ ـ الامام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام، ولد سنة ١٩٥ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٢٠ من الهجرة.

١٠ ـ الامام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام، ولد سنة ٢١٢ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٥٤ من الهجرة.

١١ ـ الامام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام، ولد سنة ٢٣٢ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٦٠ من الهجرة.

١٢ ـ الامام محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام، ولد سنة ٢٥٥ من الهجرة، وهو حي غائب حسب الرّوايات الواردة.

وقد سبق الحديث عن الثلاثة الأوائل من هذه الكوكبة المباركة (عليّ والحسن والحسين عليهم السلام) وعرفنا مقامهم في القرآن والسنّة، وفي ذلك دليل لا يُدانيه دليل على صحّة الإعتماد عليهم، والأخذ عنهم بعد أن عرّفهم القرآن الكريم والسنّة النبوية.

ولنقرأ جانباً من أقوال العلماء في تعريف بقيّة هذه الكوكبة المباركة من أهل بيت النبوّة:

٤ ـ الإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام:

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن الزهري أنه قال: (لم أدرك أحداً من أهل هذا البيت ـ بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل من عليّ بن الحسين)(١٣٤).

ونقل عن سعيد بن المسيب قوله في الامام عليّ بن الحسين عليه السلام: (هذا سيّد العابدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب)(١٣٥).

ووصف ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة، الامام عليّ بن الحسين بقوله: (زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة)(١٣٦).

وعن أبي حازم وسفيان بن عيينة كان كل منهما يقول: (ما رأيت هاشمياً

(١٣٤) الشيخ المفيد / الارشاد / باب الامام عليّ بن الحسين فضائله ومناقبه.
(١٣٥) المفيد / الارشاد / ص ٢٥٧.
(١٣٦) أهل البيت / أبو علم.

أفضل من عليّ بن الحسين، ولا أفقه منه)(١٣٧).

إنّ مثل هذه الشخصية الفذّة المرموقة التي كانت تحتل موقع الامامة والأستاذية والأعلمية، لحَريّة أن يصفها العلماء بمثل هذه الأوصاف، ويركن إليها المسلمون في أخذ الحديث والفقه والتفسير والعقيدة، وسائر علوم الشريعة المقدّسة.

وقد قلّد الامام السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام الوسام وشهادة الاعتراف بالامامة والزعامة والدينية لولده (عليّ زين العابدين)، وفي ذلك أوضح دليل على مقام هذا الامام والأخذ بما صدر عنه من علوم ومعارف ورواية ... الخ.

فقد ورد عن الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:

«إنّ الحسين عليه السلام لما سار إلى العراق استودع أُمّ سلمة (رض) الكتب والوصيّة فلما رجع عليّ بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه»(١٣٨).

٥ ـ الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:

أما ولده محمّد بن عليّ الذي لقّب بالباقر لتوسعه في العلوم والمعارف فهو كأبيه أشهر من عرف المسلمون في الورع والزهد والعلم والمعرفة، وبذلك يشهد العلماء والرّواة والمحدّثون، ويروي الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بأنّه سيدرك ولده محمّداً الباقر عليه السلام، وأمره أن يقرئه السلام.

(١٣٧) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ذكر عليّ بن الحسين عليه السلام.

(١٣٨) الطبرسي / اعلام الورى بأعلام الهدى / النصوص الدالّة على إمامته / ص ٢٥٢ / ومناقب آل أبي طالب / ج ٣.

فقد روى هذا الصحابي: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يوشك أن تبق حتى تلق ولداً لي من الحسين عليه السلام، يُقال له محمّد: يبقر العلم بقراً، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام»)[١٣٩].

وقد أدرك هذا الصحابي الامام الباقر عليه السلام وهو صبي وأبلغه تحيّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ في هذه الشهادة النبويّة وفي هذا التعريف لكفاية للاعتراف بمقام هذا الامام، والاعتماد عليه، والرجوع إليه، والأخذ عنه، وتشكّل حياته وحياة ولده جعفر الصادق أغنى فترة من فترات التاريخ الإسلامي في الحديث والرّواية، والتعريف بعلوم الإسلام.

وقد كان العلماء، والرّواة، والمفسّرون، وطلّاب المعرفة الإسلامية في تلك الفترة يرون في الامام الباقر قمة لا تدانيها قمة، وعلماً لا يرتفع إلى جانبه علم.

فقد وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله:

(أبو جعفر محمّد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة، وقيل له الباقر لأنّه بقر العلم، أي شقّه، وعرف أصله، وتوسّع فيه)[١٤٠].

ونقل ابن الجوزي عن أحد أعلام التابعين (عطاء) قوله في الامام محمّد الباقر عليه السلام:

(ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم في مجلس أبي جعفر الباقر)[١٤١].

---

(١٣٩) ذكره الشيخ المفيد / الإرشاد، وابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة، اليعقوبي في تاريخه، والشبلنجي / نور الأبصار، وابن الجوزي / تذكرة الخواص.

(١٤٠) أسدر حيدر / الامام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٢ / نقلاً عن شذرات الذهب / ج ١ / ص ١٤٩.

(١٤١) هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشر / ج ٢ / ص ١٩٨ / ط ١.

٦ ـ الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام :

أمّا ولده جعفر الصادق عليه السلام فقد أسهب العلماء في الثناء عليه وعلى آبائه وإعظام مقامهم، نذكر من هذه الأقوال ما نصّه:

نقل العلّامة المحقق السيد محسن الأمين:

(انّ الحافظ بن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمّد فضلاً عن غيرهم وذكر مصنّفاتهم)(١٤٢).

ونقل ابن شهرآشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب عن كتاب الحلية لأبي نعيم ما نصّه:

(انّ جعفراً الصادق حدّث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة ابن الحجّاج، وسُفيان الثوري، وابن جريج، وعبدالله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبدالعزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طحان، وآخرون غيرهم، قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه، محتجّاً بحديثه، وقال غيره: وروى عنه مالك، والشافعي، والحسن بن صالح، وأبو أيوب السختياني، وعمر بن دينار، وأحمد بن حنبل، وقال أنس بن مالك: ما رأت عَيْن ولا سمعت إذْن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً)(١٤٣).

وتحدّث الأستاذ الشيخ محمود أبو زهرة شيخ الأزهر الشريف عن الإمام

---

(١٤٢) نقله العلّامة السيد محسن الأمين / أعيان الشيعة / ج ٣ / ص ٣٤ / ط ٣.

(١٤٣) ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب / ج ٤ / ص ٢٤٨.

الصادق في مقدّمة كتابه (الإمام الصادق)، فقال:

(أمّا بعد فانّنا قد اعتزمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب عن الامام جعفر الصادق، وقد كتبنا في سبعة من الأئمة الكرام، وما أخرنا الكتابة عنه لأنه دون أحدهم، بل إن له فضل السبق على أكثرهم، وله على الأكابر منهم فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء احاطة، وكان الامام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة ومالك، فحسبه ذلك فضلاً، ولا يمكن أن يؤخر عن نقص، ولا يقدم غيره عليه عن فضل، وهو فوق هذا حفيد عليّ زين العابدين الذي كان سيّد أهل المدينة في عصره، فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثيرون من التابعين، وهو ابن محمّد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو ممّن جمع الله تعالى له الشرف الذاتي والشرف الاضافي بكريم النّسب، والقرابة الهاشمية والعترة المحمّديّة)(١٤٤).

وكان عمرو بن المقدام يقول:

(إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيين).

ووصفه المؤرّخ الشهير اليعقوبي بقوله:

(وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالم)(١٤٥).

هذا قبس من تعريف العلماء والرّواة والمحدثين وشهاداتهم تكشف عن مقام أهل البيت عليهم السلام وموقعهم العلمي والايماني الفريد.

---

(١٤٤) محمّد أبو زهرة / الامام الصادق / ص ٣.

(١٤٥) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٣٨١.

٧ ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام :

أمّا الامام موسى بن جعفر عليه السلام فهو ابن الامام جعفر الصادق عليه السلام ، تربّى في كنف أبيه فاكتسب منه العلم والورع ومكارم الأخلاق، لذا شهد له أبوه بجلالة قدره وعظيم مكانته، انّه ولده موسى، هو سيّد أهل البيت عليهم السلام ، والإمام الذي يرجع إليه في أخذ العلوم والمعارف.

فقد ورد عنه عليه السلام انّه قال لأحد أصحابه:

«إنّ ابني هذا الذي رأيت لو سألته عمّا بين دفتيّ المصحف لأجابك فيه بعلم»(١٤٦).

ووصفه علماء الرجال والسير بأنّه العالم الصادق، والمتعبّد المشهور بالورع والتقوى، وعظمة الشأن، وسموّ الخُلق، نذكر من هذه الشهادات ما قاله الحافظ الرّازي في موسوعته الرّجاليّة بقوله:

(موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب روى عن أبيه، روى عنه ابنه عليّ بن موسى وأخوه عليّ بن جعفر، سمعت أبي يقول ذلك عبدالرّحمن. قال: سُئل أبي عنه فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين)(١٤٧).

وقال فيه محمّد بن أحمد الذهبي:

(كان موسى من أجود الحكماء، ومن عباد الله الأتقياء)(١٤٨).

وقال كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي:

---

(١٤٦) قرب الاسناد / ص ١٩٣. المناقب لابن شهرآشوب / ج ٣ / ص ٤١١.

(١٤٧) الحافظ الرازي / الجرح والتعديل / ج ٨ / باب الجيم / ص ١٣٩ / ط ١، ١٣٧٢ هـ دار الكتب العلمية.

(١٤٨) محمّد بن أحمد الذهبي / ميزان الاعتدال / ج ٣ / ص ٢٠٩.

(هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعة، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً، وصائماً، ولفرط حلمه، وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعِيَ «كاظماً»)(١٤٩).

وقال مؤمن الشبلنجي:

(كان موسى الكاظم عليه السلام أعْبَد أهل زمانه، وأعلمهم)(١٥٠).

٨ ـ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

أمّا ولده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقد كان كآبائه في العلم والورع وكمال الأخلاق، وقد تولّى الزعامة الدينية ومهمة الامامة من بعد أبيه، وقد بلغ من المجد والمكانة ما أرغم الخليفة العباسي (المأمون) أن يعهد له بالخلافة من بعده، رغم الصراع والعداء المستحكم بين العلويين والعباسيين.

وقد شهد العلماء والفقهاء والفلاسفة في مجالس العلم والحوار، وفي كتب الرجال والسير بمكانة الامام عليّ الرضا عليه السلام العلمية، ومقامه الكريم، وما اتسم به من الورع والتقوى.

ننقل من هذه الأقوال:

(قال الواقدي: كان ثقة، يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة)(١٥١).

---

(١٤٩) كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي / مطالب السؤول / ص ١٨.

(١٥٠) الشبلنجي / نور الابصار / ص ٢١٨.

(١٥١) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ١٩٨.

أما أبوه موسى بن جعفر الذي عرفنا مكانته العلمية، وورعه وتقواه، فانّه يشهد له بالعلم، ويرشد إلى الأخذ عنه بقوله لأبنائه:

(هذا أخوكم عليّ بن موسى، عالم آل محمّد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم)(١٥٢).

٩ ـ الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام:

أمّا الامام الجواد عليه السلام فهو كآبائه وأسلافه الأطهار في العلم والزهد والتقى:

قال سبط ابن الجوزي:

(محمّد الجواد: وهو محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وكنيته: أبو عبدالله، وقيل أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي سنة مائتين وعشرين، وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود)(١٥٣).

وروى محمّد بن عمار قال:

(كنتُ عند عليّ بن جعفر(*) بن محمّد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه ـ يعني موسى بن جعفر الكاظم ـ إذ دخل عليه أبو جعفر محمّد بن عليّ الرضا المسجد، مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فوثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده، وعظّمه.

فقال له أبو جعفر: يا عم اجلس رحمك الله.

---

(١٥٢) الشيخ المفيد / الارشاد.

(١٥٣) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٢.

(*) عليّ بن جعفر الصادق هو عمّ أبي الامام الجواد عليه السلام، وهو من الرّواة الثّقات عند أهل الرّواية والحديث من عموم المسلمين.

فقال يا سيدي: كيف أجلس وأنت قائم؟!

فلما رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبّخونه، ويقولون له: أنت عم أبيه، تفعل به هذا الفعل!!

فقال: اسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أأنكر فضله؟!

نعوذ بالله عمّا تقولون، بل أنا عبد له)(١٥٤).

وقال محمود بن وهيب البغدادي الحنفي:

(محمّد الجواد بن عليّ الرضا، كنيته أبو جعفر، ثم قال: وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً، وأجلّ اخوته قدراً وكمالاً)(١٥٥).

١٠ ـ الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام:

أما الامام عليّ الهادي عليه السلام ابن الامام محمّد الجواد عليه السلام فكان له من عظيم الفضل ورفيع الشأن، علماً وورعاً، ما كان لآبائه الكرام، ويكنّى بأبي الحسن العسكري.

قال مؤمن الشبلنجي:

(ومناجاته رضي الله عنه كثيرة، قال في الصواعق: كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً وسخاءً)(١٥٦).

قال عبدالحي بن العماد الحنبلي:

(أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا، بن الكاظم موسى، بن جعفر

(١٥٤) مدينة المعاجز / ص ٤٥٠.

(١٥٥) جوهر الكلام / ص ١٤٧.

(١٥٦) نور الأبصار / ص ١٤٩.

الصادق، العلوي، الحسيني، المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً، متعبّداً)[١٥٧].

قال الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير:

(وأما أبو الحسن عليّ الهادي فهو ابن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن عليّ بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن عليّ العسكري، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكّل إلى سامراء، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها هذه السنة ـ أربع وخمسين ومائتين ـ)[١٥٨].

وروي عن يحيى بن هرثمة الذي أرسله المتوكّل العباسي لجلب الامام عليّ الهادي من المدينة إلى سامراء:

(فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله، خوفاً على عليّ، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، فجعلت أسكّنهم، وأحلف لهم أنّي لم أُؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثم فتّشتُ منزله، فلم أجد إلّا مصاحف وأدعية، وكتب العلم، فعظم في عيني)[١٥٩].

١١ ـ الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام:

أما الامام الحسن العسكري بن عليّ الهادي عليه السلام فهو أيضاً كآبائه الكرام في العلم والمعرفة والورع والجهاد.

(١٥٧) شذرات الذهب / ج ٢ / ص ١٢٩.

(١٥٨) البداية والنهاية / ج ١١ / ص ١٥.

(١٥٩) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٢.

وقد شهد العلماء وأصحاب السير له بذلك، نذكر من هذه الأقوال:

١ ـ قال شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فراغلي ـ سبط ابن الجوزي ـ:

(كان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جدّه)[١٦٠].

٢ ـ قال عليّ بن الصباغ المالكي:

(مناقب سيّدنا أبي محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري ابن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنّه إن بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيّد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة)[١٦١].

١٢ ـ الإمام محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لم تنقض الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً»[١٦٢].

وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما مُلِئت جوراً».

هكذا أخرجه أبو داود في مسنده، وروى أبو داود والترمذي في سننهما كل

---

(١٦٠) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٣.

(١٦١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٩٠.

(١٦٢) رواه أبو داود في سننه / ج ٤ / ص ١٠٤ / ح ٤٢٨٢ / ط دار احياء السنة النبوية. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ذكر محمّد بن الحسن المهدي.

واحد منها يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«المهدي منّي، أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً».

وزاد أبو داود: يملك سبع سنين، وقال حديث ثابت صحيح[١٦٣].

إنّ الأحاديث التي وردت عن طريق أئمة الحديث والرّواية من مختلف مذاهب المسلمين كثيرة جداً، وتجمع على أنّ اسم المهدي هو (محمّد)، وأنّه من أهل بيت النبوّة، واختلفوا في تحديد شخصه، فالذي ثبت عند اتباع أهل البيت وغيرهم انّه الامام محمّد بن الحسن العسكري بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد بن عليّ بن أبي طالب، وأنه ولد في النصف من شعبان سنة (٢٥٥) هـ في سرّ من رأى، وانّه بقدر إلهي ما زال موجوداً وغائباً، وانّ ظهوره سيكون في وقت كما ورد في الحديث الشريف تملأ فيه الأرض ظلماً وجوراً ليملأها قسطاً وعدلاً، وانّ عيسى عليه السلام يصلّي خلفه.

هذا تعريف مختصر بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومكانتهم.

فعنهم أُخِذَ الفقه والحديث والتفسير وعلوم العقيدة والشريعة وغيرها.

---

(١٦٣) أبو داود / سنن أبي داود / ج ٤ / ص ١٠٤.

التوحيد
في منهج أهل البيت عليهم السلام

«أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له»(١٦٣).

«لايقبل الله عملاً بلا معرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الأيمان بعضه من بعض»(١٦٤).

التوحيد قاعدة الاسلام وأساس الفهم والتكفير ومحور العلم والعمل، فهو المنطلق والقاعدة للتشريع والقيم والأخلاق ومنهج التفكير.

إنّ مفهوم التوحيد يسلك أساساً في بناء الحضارة الاسلامية المتميزة بصبغتها التوحيدية:

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابِدُون﴾.

(البقرة / ١٣٨)

الصبغة التوحيدية التي تميّزها عن الحضارات الجاهلية، وتعطيها الصفات الرسالية المحدّدة، وهي التي تمنح سلوك المسلم وتفكيره النمط المتميّز في الحياة.

إنّ القرآن الكريم والسنّة المطهّرة هما مصدر الفكر والتفكير العقائدي وقد

---

(١٦٣) الامام عليّ عليه السلام نهج البلاغة / الخطبة رقم (١).

(١٦٤) حديث شريف / عن الامام الصادق عليه السلام.

أوضحا لنا بجلاء كامل عقيدة التوحيد، وبيّنا لنا وجود الله الخالق العظيم، وحدّدا صفاته الكمالية، وثبّتا له التنزيه المطلق، فاكتملت أُسس هذه العقيدة وأُصولها التوحيدية، فآمن بها المسلمون الأوائل، كما سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقرأوها في كتاب الله المجيد.

انتشر الاسلام وتوسّعت الفتوحات الاسلامية، ودخلت شعوب وأُمم ذات حضارات وفلسفات جاهلية، كالفرس والهنود والصينيين.

كما دخل في الاسلام ناس من أتباع الديانات المسيحية واليهودية المحرّفة، والمتأثّرين بالفلسفة واللاّهوت المسيحي واليهودي، يضاف إلى ذلك ما نقل من أفكار وفلسفات يونانية وغيرها، فنشأ الجدل والشك ودخلت الخرافات والمفاهيم الغريبة على عقيدة التوحيد، عن طريق هذا التسرّب الحضاري الهدّام. واضطربت عقيدة التوحيد عند صنف من المشتغلين في بحث العقيدة ومسائلها، والفلسفة وفروعها، كمسألة الجبر والتفويض في السلوك الانساني، وكمسألة الغلو والتجسيم، وتفسير الإسراء والمعراج... الخ، فتبلبلت الأفكار، ونشأت المذاهب والفرق والاتجاهات العقائدية الضالة والمنحرفة عن عقيدة التوحيد، فخاض أئمة أهل البيت عليهم السلام والعلماء والمفكرون الاسلاميون صراعاً حضارياً وفكرياً، عنيفاً، ترك أثره الواضح إلى يومنا هذا ـ على الرغم من انقراض بعض الفرق والتيارات الضالة ـ ترك هذا الصراع أثره السلبي والايجابي معاً على الفكر العقائدي، وعلى اتجاه التفكير وتفسير مسائل العقيدة، وفي هذا الصراع كان أئمة أهل البيت عليهم السلام بما أوتوا من نقاء في الفهم، واحاطة بعلوم الشريعة، ومعرفة الله سبحانه، واستيعاب شامل لكتاب الله وسنّة رسوله، كان لهم ولمدرستهم العلمية والعقائدية الدور البارز في صدّ الشبهات واسقاط التيارات الضالّة والمنحرفة والدفاع عن مفهوم التوحيد بنقائه وأصالته. ومازالت بين أيدينا مناظرات

أئمة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم وتفسيرهم للآيات التي تتحدّث عن التوحيد وتزيح غوامض التفكير، وتجري الفهم الاسلامي الأصيل على أصوله، وترفع محاولات الشطط وسوء الاستفادة من الآيات وتفسير ظواهرها وفق هوى النفس ومسبقات التفكير الضال المنحرف، أو الفهم الحائر المضطرب، فتبلورت وفق منهجهم في فهم كتاب الله، ومعرفتهم لله سبحانه، الوحدة الفكرية المتماسكة لعقيدة التوحيد.

ومن يدرس علوم العقيدة، عقيدة التوحيد، ويتعمّق في فهم وحدة البناء العقائدي وتفريعاته ومسائله وفق منهج ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظرتهم، يدرك ذلك العمق والنقاء، وكيف أنّ البناء العقائدي والحضاري بأسره يدور مدار عقيدة التوحيد، وأنّ عقيدة التوحيد تقوم على أساس «إثبات الكمال المطلق لله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقص، ونفي الشريك والشبيه والمثيل والضدّ عنه».

وقد ثبّت الامام عليّ عليه السلام أسس هذا الاتجاه التوحيدي بقوله:

«التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه» (١٦٥).

وقد وردت أحاديث ومناظرات وتصريحات ثبت فيها أئمة أهل البيت عقيدة التوحيد، وردّوا شبهات المبطلين والزنادقة، كالديصاني وابن أبي العوجاء، وابن المقفع، والملحدين والغلاة والمجسّمة والمفوّضة والجبريّة وأمثالهم.

وفيما يأتي نستعرض جانباً من هذه المبادئ التوحيدية التي تعبّر عن عقيدة القرآن، وترسم أسس العلم والتفكير التوحيدي بنقائه وأصالته.

فعن الامام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب قال:

---

(١٦٥) الامام عليّ عليه السلام نهج البلاغة / قصار الحكم / الحكمة رقم ٤٧٠.

«اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»(١٦٦).

وروى الفتح بن يزيد عن الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال:

«سألته عن أدنى المعرفة، فقال: الاقرار بأنّه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير، وانّه قديم مثبت موجود غير فقيد، وانّه ليس كمثله شيء»(١٦٧).

وسأل نافع بن الأزرق الامام أبا جعفر محمّداً الباقر عليه السلام، فقال:

«أخبرني عن الله متى كان؟ فقال: متى لم يكن حتى أخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً»(١٦٨).

وروى الصادق أن حبراً من الأحبار جاء للامام عليّ عليه السلام يسأله، فقال:

«يا أمير المؤمنين، متى كان ربك؟ قال: ويلك انّما يقال: متى كان لما لم يكن، فأمّا ما كان فلا يقال، متى كان، كان قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا منتهى غاية لتنتهي غايته، فقال له: أنبيّ أنت؟ فقال: لأُمّك الهَبل، إنّما أنا عبد من عبيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(١٦٩).

وعن الباقر عليه السلام:

«إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته، فانظروا إلى عظيم خلقه»(١٧٠).

وأوصى الامام الصادق عليه السلام أحد أصحابه (محمّد بن مسلم) بقوله:

(١٦٦) الكليني / الأصول من الكافي / ج ١ / باب التوحيد / ص ٨٥.

(١٦٧) الكليني / الكافي / ج ١ / باب التوحيد / ص ٨٦.

(١٦٨) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٨٨.

(١٦٩) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٠.

(١٧٠) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٣.

«يا محمّد، إنّ الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلّموا في الله، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلّا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء»[١٧١].

وعن الامام الباقر عليه السلام:

«تكلّموا في كل شيء، ولا تتكلّموا في ذات الله»[١٧٢].

وقد شرح الامام عليّ عليه السلام لأحد سائليه عندما سأله: أين كان الله قبل أن يخلق الخلق، فردّ عليه نافياً حاجة الله سبحانه إلى المكان، مؤكّداً تنزيه الباري جلّ شأنه عن ذلك، كما هو منزّه عن الحاجة إلى الزمان.

سأله سائل:

«أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال: أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان»[١٧٣].

وسُئل عن رؤية الله سبحانه، فنزّهه عن الرؤية وقال للسائل حين سأله:

«يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»[١٧٤].

وروى محمّد بن حكيم، قال:

«كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي: إنّ الله أعلى وأجلّ وأعظم من أن يُبْلَغَ كنه صفته، فَصِفوهُ بما وصف به نفسه، وكفّوا عمّا سوى ذلك»[١٧٥].

---

(١٧١) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٢.

(١٧٢) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٢.

(١٧٣) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٠.

(١٧٤) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٨.

(١٧٥) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٢.

وعن المفضل قال:

«سألتُ أبا الحسن عن شيء من الصفة، فقال: لا تجاوز ما في القرآن»(١٧٦).

وعن عبدالرحمن بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله الصادق عليه السلام :

«إنّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط(*) فان رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد؟ فكتب إليّ: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله بخلقه، المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلّ وعزّ، فانفِ عن الله تعالى البطلان، والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان»(١٧٧).

وفي توحيد الذات وتنزيهه عن مشابهة الخلق قال حمزة بن محمّد: كتبت إلى أبي الحسن الكاظم أسأله عن الجسم والصورة، فكتب:

«سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم، ولا صورة»(١٧٨).

وهكذا نقرأ التوحيد الخالص والتنزيه المطلق لله سبحانه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم المعبّر عن روح القرآن ومضمونه، وما جاءت به آياته،

---

(١٧٦) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٢.

(*) بالتخطيط: بالشكل.

(١٧٧) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٠.

(١٧٨) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٤.

وبذا ثبّتوا عقيدة التوحيد، وردّوا الأباطيل والشبهات والأضاليل التي ابتلي بها التفكير الاسلامي في تلك الفترة من حياة الأُمّة. كما يقوم هذا البيان ردّاً حاسماً على الضالين والمنحرفين من الغُلاة(*) والمفوّضة والمجسّمة ومن قالوا بالحلول ـ حلول الله في بعض خلقه ـ أو بالاتحاد ـ اتحاد الله مع خلقه ـ.

وإيضاحاً لمن اشتبهت عليه الأُمور فراح يخلط بين مذهب أهل البيت الحق المنزّه عن خرافات الغُلاة والمفوّضة ومن قالوا بالحلول ممّن ادّعوا الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام، وبين أتباع تلك الفرق الضالّة.

وكثيراً ما يلجأ المخرّبون والمفرّقون لصفوف هذه الأُمّة إلى التضليل والخلط والتشويه بغية الدسّ والافتراء، واستغفال البسطاء، ومن لا علم لهم، لتفريق الأُمّة، وشقّ وحدتها، وخدمة أعدائها.

العدل الإلهي وتفسير السلوك الانساني

﴿شَهِدَ اللهُ أَنّه لا إله إلّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾. (آل عمران / ١٨)

العدل صفة من صفات الله سبحانه، نشاهد آثارها في كل مجال من مجالات الوجود، نشاهد العدل في عالم الخلق والتكوين، في عالم الطبيعة وخلق الانسان والحيوان والنبات، كما نشاهد العدل في الشريعة والقانون الإلهي.

﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالاحْسانِ﴾. (النحل / ٩٠)

كما يتجسّد عدل الله فيما يقضي ويقدّر على خلقه من قضاء وقدر، وفيما

(*) سنوضّح إن شاء الله في أحد بحوث هذا الكتاب عقيدة أتباع هذه الفرق الضالّة الذين وصفوا أئمّة أهل البيت عليهم السلام بصفات الله. فلعنهم أهل البيت عليهم السلام وطردوهم.

شرّع من شرائع ورسالات، ويتجسّد هذا العدل الإلهي في عالم الآخرة، يوم الحساب والجزاء، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. (الكهف / ٤٩)

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ﴾. (البقرة / ٢٨١)

﴿لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ﴾. (البقرة / ٢٨٦)

وعلى هذا المنهج سار المسلمون الأوائل في فهم علاقتهم بالله سبحانه وتفسير سلوك الانسان، وما يصدر منه من عمل، وحين دخلت الفلسفة والمذاهب الفلسفية والكلامية المختلفة، نشأت ثلاثة آراء لتفسير السلوك الانساني، وعلاقته بارادة الله سبحانه.

وهذه الآراء هي:

١ ـ الجبر.

٢ ـ التفويض.

٣ ـ لا جبر ولا تفويض.

فقد أوحت ظواهر بعض الآيات القرآنية لبعض أصحاب الفرق والمذاهب، كقوله تعالى:

﴿يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهْدِي مَن يَشاءُ﴾.

أن يقولوا (بالجبر)، ومفاد هذا الرأي أنّ الانسان لا يملك إرادة، ولا اختياراً، وإنما هو عبارة عن المحل الذي تجري عليه الحوادث المقدّرة من قبل الله تعالى.

فالانسان وفق هذا الرأي مجبر على فعله، وليس مختاراً، وهو رأي المجبِّرة ومن اعتنق نظريتهم هذه.

وأما الرأي الثاني فهو الرأي القائل بأنّ الانسان مفوّض في اختيار الأفعال،

وارادته منفصلة عن إرادة الله، بل انّ الله لا يستطيع أن يحول بينه وبين فعل ما يريده، سواء المعاصي كالقتل والظلم وشرب الخمر، أو الطاعات كالعدل والاحسان وأداء الصلاة، وبذا فالانسان منفصل عن الله تعالى، وهذا رأي المعتزلة.

وقد ردّ أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذين الرأيين وأبطلوهما، فكلاهما مخالف لما جاء به القرآن، وقامت على أساسه عقيدة التوحيد، وأوضحوا أنّ هناك علاقة واضحة بين تفسير سلوك الانسان، وبين الايمان بعدل الله، وبيّنوا أنّ مفاد الرأي القائل بأنّ الانسان لا يملك إرادة ولا اختياراً وانّه مجبر على أفعاله، انّ مفاد ذلك يجرّ إلى اتهام الباري جلّ شأنه بالظلم ونفي العدل عنه ـ تنزّه عن ذلك وعلا علوّاً كبيراً ـ لأنّ معنى ذلك انّ الله أجبر الانسان على فعل الشر وعاقبه عليه، كما أجبره على فعل الخير فهو لا يستحق الثواب عليه، ولذا فقد رفضوا هذا التفسير الذي وقع فيه كثير من المسلمين خطأً بسبب الفهم الناقص لظواهر بعض الآيات، كقوله تعالى:

﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

وفسّر أئمة أهل البيت عليهم السلام معنى الهداية والإضلال بوضوح كامل ومتّسق مع عدل الله سبحانه، كما سيأتي بيانه.

كما رفضوا الرأي القائل بأنّ الانسان مفوّض، يعمل دون أن يستطيع الله سبحانه أن يمنعه عن أي فعل، وفسّروا رفضهم لهذا الانحراف العقائدي بأنه اتهام لله بعدم الهيمنة والسيطرة على العباد، وعجزه عن ذلك، وهو القادر على ما يشاء، والمالك لما ملك الخلق، وحدّدوا منهجهم ومذهبهم في هذه القضية المرتبطة بعدل الله في النظرية الوسط التي ترفض الجبر والتفويض وتقول: (بإرادة الانسان غير المنفصلة عن ارادة الله) وفسّروا هذه العلاقة بدقّة عقائدية كاملة، وسنعرض الرّوايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المعبّرة

عن هذا الرأي.

وقبل أن نستعرض هذه الروايات فلنثبت القضايا الأساسية التي اختلف فيها منهج أهل البيت عن أصحاب المناهج والآراء المختلفة في قضية العدل الإلهي بثلاث قضايا أساسية:

١ ـ إنّ الانسان يملك الارادة والقدرة على اختيار أي فعل ـ خيراً كان أو شراً ـ كما يستطيع رفضه، فهو يستطيع أن يقتل ويسرق ويظلم ويكذب بإرادته واختياره، كما يستطيع أن يقيم العدل وأن يفعل المعروف ويؤدّي الصلاة ويترك المحرّمات بإرادته واختياره.

وإنّ الله سبحانه قادر على منع الانسان عن أي فعل كما هو قادر على جعل الانسان يفعل أي فعل دون تدخّل لاختيار الانسان، ولكن الله سبحانه لا يرغم أحداً على فعل الخير أو فعل الشر.

إلّا أنّ الله بلطفه ورحمته له أن يحول بين الانسان المستحق للعناية الإلهية، وبين فعل المنكرات، رحمة بهذا الانسان المستحق، كما قد يوفّقه ويعينه على فعل الخير إذا وجده مستحقاً لذلك.

٢ ـ ويرتبط بالعدل الإلهي: أنّ الله سبحانه يجازي كل انسان على فعله يوم القيامة ـ خيراً كان أو شرّاً ـ بينما قال فريق من المسلمين إنّ الله يستطيع أن يدخل المحسن إلى النار والمسيء إلى الجنة، واعتمدوا خطأً وعن سوء فهم للآية الكريمة:

﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. (الأنبياء / ٢٣)

كما قال فريق من المسلمين اعتماداً على التفسير الخاطئ لهذه الآية، لا يجب على الله أن يفي بما وعد من جزاء يوم القيامة، وردّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا القول بأنّ ذلك ينافي صدق الله وعدله.

فبهذا الرأي يتساوى المحسن والمسيء، وتنعدم قيمة التكليف والشرائع. والصحيح أنّه لا عمل بلا جزاء أو مسؤولية وأن:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

(الزّلزلة / ٧، ٨)

٣ ـ ذهبت آراء بعض المسلمين إلى القول بأنّ الله سبحانه يجوز أن يكلّف العباد فوق قدرتهم اعتماداً على الفهم الخاطئ والاستفادة السقيمة من الآية الكريمة:

﴿رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾(*). (البقرة / ٢٨٦)

ورفض أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذا الفهم والتفسير وبيّنوا أنّ ذلك مخالف لعدل الله ولصريح القرآن:

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَها﴾. (البقرة / ٢٨٦)

وفيما يأتي نستطيع أن نذكر بعض الرّوايات والمناظرات التي وردت من أهل البيت عليهم السلام تشرح لنا هذه المبادئ الأساسية، وتفسّر السلوك الانساني، والعلاقة بين ارادة الانسان وارادة الله سبحانه، وتربط بين هذا التفسير ومبدأ العدل الإلهي، لتؤكّد لنا وحدة الفهم والتفكير والاعتقاد في رسالة الاسلام، وتبطل نظريّتي (الجبر والتفويض) كما أبطلوا بقية الأفكار والتخرّصات الخارجة على منهج القرآن.

(*) قال العلّامة الطباطبائي في تفسيره للآية: المراد بما لا طاقة لنا به ليس هو التكليف الابتدائي بما لا يطاق، إذ قد عرفت ان العقل لا يجوّزه أبداً، وان كلامه تعالى أعني ما حكاه بقوله: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ يدلّ على خلافه بل المراد به ـ ما لا طاقة لنا به ـ جزاء السيئات الواصلة إليهم من تكليف شاق لا يتحمّل عادة، أو عذاب نازل، أو رجز مصيب كالمسخ ونحوه، الميزان في تفسير القرآن / ج ٢ / ص ٤٤٥.

روي عن الامام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذن الله» (١٧٩).

ونقرأ في حوار للامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رجل من أصحابه عند مسيره إلى الشام لحرب معاوية في صفّين حين سأله هذا الرجل فقال:

«يا أمير المؤمنين أخبِرْنا عن مسيرنا أبقضاء الله وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين: أجل يا شيخ، فوَالله ما علوتم تلعة، ولا هبطتم بطن واد إلّا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له الامام: ويحك! لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً! ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطَع مكرهاً، ولم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم يُنزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً: ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾] (١٨٠).

وورد عن الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام انّه ذُكر عنده الجبر والتفويض فقال:

«ألا أعلمكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه، ولا يخاصمكم عليه أحد إلّا كسرتموه؟ قلنا: ان رأيت ذلك، فقال: انّ الله عزّ وجلّ لم يُطع بإكراه، ولم

---

(١٧٩) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / باب الجبر والقدر.

(١٨٠) الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام / نهج البلاغة / حكم أمير المؤمنين عليه السلام / حكمة رقم ٧٨.

يُعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صاداً، ولا منها مانعاً، وان ائتمروا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وان لم يحل فعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»(١٨١).

وورد في شرح العقائد للمفيد قال:

«وروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، انه سُئل عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى، فقال: لو كان خالقاً لها لمّا تبرّأ منها، وقد قال سبحانه: انّ الله بريء من المشركين، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وانّما تبرّأ من شركهم وقبائحهم»(١٨٢).

وفي كتاب التوحيد عن محمّد بن عجلان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام:

«فوّض الله الأمر إلى العباد؟ قال: الله أكرم من أن يفوّض إليهم، قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم، قال: الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذّبه عليه»(١٨٣).

وورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾.

قال:

«إنّ الله لايوصف بالترك كما يوصف خلقه، لكنّه متى علم أنّهم

---

(١٨١) عن كتاب التوحيد وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق / الطباطبائي / تفسير الميزان / ج ١ / بحث الجبر والتفويض.

(١٨٢) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الخبر والتفويض.

(١٨٣) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض.

لا يرجعون عن الكفر والضّلال منعهم المعاونة واللّطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم»[١٨٤].

وورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال الله تعالى:

﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيها بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلا﴾[١٨٥].

وهكذا يوضّح منهج أهل البيت عليهم السلام مفهوم الهداية والضّلال وأنّ الله سبحانه لم يخلق الناس ضالين ولا مهتدين، بل ترك لهم الخيار، وأعطاهم الارادة، ووضّح لهم سبيل الخير، وحذّرهم من سبل الشر والغواية، فقال تعالى:

﴿إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَإِمّا كَفُوراً﴾. (الانسان / ٣)

وقال:

﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾. (البلد / ١٠)

عرّفناه نجد الخير ونجد الشرّ، وعليه أن يختار الطريق.

ويفسّر الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله:

«انّما هما نجدان نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير»[١٨٦].

---

(١٨٤) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض.

(١٨٥) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض.

(١٨٦) يُراجع الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / تفسير الآية: ﴿وهديناه النّجدين﴾.

وخلص منهج أهل البيت عليهم السلام إلى نظرية لتفسير السلوك الانساني، وما يصدر عن الانسان من خير أو شر، وصيغت بقانون نصّه:

«لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، ومنزلة بين منزلتين».

ووصف أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام ذلك حين سُئل أهناك منزلة بين الجبر والتفويض، فقال:

«تسع ما بين السماء والأرض».

هذا هو ملخّص المنهج الذي تبّنته أهل البيت عليهم السلام في موضوع الجبر والتفويض واعتقده المسلمون الذين أخذوا بمنهجهم وساروا إلى طريقهم.

أهل البيت عليهم السلام والفِرَق الضّالّة

لقد أدرك أعداء الاسلام أنّ أهل البيت عليهم السلام مصدر الاصالة والنقاء، ومفزع المسلمين في الشدائد والمحن، لهم مقام وحرمة في نفوس أبناء الاسلام كافة.

فالكل ينظر إليهم بالاحترام والتقدير، ويقدّس ما يصدر عنهم، وينتهي إليهم. لذلك حاولت العناصر المخرّبة والمدسوسة أن تتجه إلى مصدر الأصالة والنقاء فتتستّر تحت ظلاله، وترفع كذباً وزيفاً شعار الولاء لأهل البيت عليهم السلام، الذين لعنوهم وتبرأوا منهم، ولتخطط بكيد وخبث هدم عقيدة التوحيد والقضاء على رسالة الاسلام وتشويه منهج أهل البيت عليهم السلام، الدعاة إلى الله، والأُمناء على رسالة التوحيد. فافتعلوا عقائد ضالّة وفلسفات منحرفة. فقالوا بحلول الله ـ جلّ وعلا عن ذلك علوّاً كبيراً ـ في أجساد الأئمة، وقالوا بتفويض الله الأُمور من الرزق والتأثير في الخلق والجنة والنار إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

بل وينسب بعضهم الألوهية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، كل ذلك كيداً للاسلام وأهله، وهدماً لعقيدة التوحيد، وكان وراء هذه التيارات العناصر المجوسية والمانوية والمزدكية وأمثالها، التي أعلنت نفاقاً الدخول في الاسلام ولم تؤمن به، كما شارك الفكر اليهودي والنصراني المحرّف بهذه الحملة التخريبية (*).

(*) إنّ هذا العمل التخريبي والأفكار الضالة لا ينحصر دور ها ومحاولاتها الهدامة

وكم استطاعوا عن هذا الطريق من بلبلة العقول، وزرع الشبهات، ودسّ الرّوايات والمفاهيم الضالة، ونسبتها لأهل البيت كذباً وتزويراً. لذا فقد تصدّى نفر من العلماء الاعلام وصنّفوا كتب الرّجال، وفرزوا العناصر المدسوسة لتشخيص الكذّابين والوضّاعين وأصحاب العقائد الضالة من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى آخر سلسلة أئمة أهل البيت عليهم السلام الرّواة الأمناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإسقاط كل رواية مدسوسة، ولكشف كل راوٍ متسترٍ دسّاس، كما فعل النجاشي في كتابه المعروف برجال النجاشي، والشيخ الطوسي في كتابه الفهرست ورجال الطوسي، وغيرها.

ويحدّثنا التاريخ عن وجود فرق ضالّة ومنحرفة تسبت نفسها لأهل البيت عليهم السلام كالغُلاة والمفوّضة، وقد تبرّأ أهل البيت منهم ولعنوهم وطردوهم وأبعدوهم، بل وحكم فقهاء الامامية بنجاسة الغُلاة والمفوّضة.

وقد عدّ النوبختي (*) فِرَقاً عديدة من الغُلاة والمفوّضة في كتابه فِرق الشيعة، وذكر مواقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منهم، نذكر منها قوله:

(وأمّا أصحاب «أبي الخطاب محمّد بن أبي زينب الأجدع الأسدي» ومن قال بقولهم فإنّهم افترقوا لما بلغهم أن أبا عبدالله جعفر بن محمّد الامام الصادق عليه السلام لعنه وبرئ منه ومن أصحابه).

← ضد أهل البيت ومحاولة التستّر تحت شعارهم، بل عملوا على ادخالها عن طريق بقية فرق وطوائف المسلمين الأخرى، لذا تصدّى الفلاسفة والعلماء ورجال الحديث من مذاهب المسلمين الأُخرى لمواجهتها والتخلّص منها، وما زلنا نشاهد كثيراً من المدسوسات والعقائد غير الصحيحة في كتب المسلمين وتراثهم من مختلف الطوائف، وهي ما يرفضه المحققون الملتزمون.

(*) النوبختي: هو أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي، من أعلام الامامية في القرن الثالث الهجري.

إلى أن قال:

(وفرقة منهم قالت إنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد (الصادق) هو الله ـ جلّ وعزّ وتعالى علوّاً كبيراً ـ وإن أبا الخطاب نبي مرسل.

فرقة قالت: جعفر بن محمّد هو الله عزّ وجلّ ـ وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وانّما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحلّ فيها، فكان ذلك النور هو جعفر بن محمّد (الصادق) ثم خرج منه فدخل في أبي الخطاب)(١٨٧).

ثم تابع النوبختي عرضه لهذه العقائد الضالة فقال:

(فهذه فِرَق أهل الغلوّ ممّن انتحل التشيّع وإلى (الخرمدينية) والمزدكيّة(*) والزنديقية(**) والدهرية(***) مرجعهم جميعاً لعنهم الله، وكلّهم متّفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق ـ تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ واثباتها في بدن مخلوق، على أنّ البدن مسكن لله، وأنّ الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان ـ تعالى الله عن ذلك ـ إلّا أنّهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولّونهم، يبرأ البعض من بعض ويلعن بعضهم بعضاً)(١٨٨).

---

(١٨٧) النوبختي / فِرق الشريعة / ط ١٣٨٨ هـ / ص ٥٩.

(*) المزدكيّة: أتباع مزدك الذي ظهر في أيام قباد والد أنوشيروان واسم كتابه الذي ادّعى نزوله عليه (ديستاو) وقولهم كقول المانوية «ديانة فارسية قديمة» في الأصلين النور والظلمة / انظر فهرست ابن النديم. والمزدكية هم الذين أباحوا المحرّمات، وزعموا أنّ الناس شركاء في الأموال والنساء، وإليه يمت المذهب الاشتراكي / تعليق السيد محمّد صادق بحر العلوم على كتاب فِرق الشيعة للنوبختي.

(**) الزندقية: هم الذين رفضوا تعاليم الأديان الإلهية بحجّة تحرّر الفكر / المصدر السابق.

(***) الدهريّون: هم القوم القائلون إن العالم موجود أزلاً وأبداً، لا صانع له، وهم فرقة من الكفّار الملحدين.

(١٨٨) النوبختي / فِرق الشيعة / ص ٦٠.

كما نقل النوبختي من أخبار الفرق الضالة المنقرضة التي حاولت التستّر بالانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام فرقة قالت: (إنّ محمّد بن الحنفية) ابن الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (هو المهدي سمّاه الامام عليّ مهدياً، لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك، ولكنه غاب ولا يدرى أين هو، وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه إلى أصحابه، وهم أصحاب ابن كرب)[١٨٩].

ثمّ قال:

(وحمزة بن عمارة البربري منهم وكان من أهل المدينة ففارقهم وادّعى أنّه نبي، وإنّ محمّد بن الحنفية هو الله ـ عزّ وجلّ وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وأنّ حمزة هو الامام، وانّه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهنّ الأرض ويملكها. فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعنه أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام (الباقر)، وبرئ منه وكذّبه وبرئت منه الشيعة)[١٩٠].

كما لعن الامام الصادق عليه السلام صائداً النهدي الذي تابع هذه الفرقة الضالّة وعدّه من الشياطين، وقد عدّه الصادق في رواية فيمن كذب عليه[١٩١].

وفيما يلي نذكر ما رواه علماء الشيعة عن الامام الصادق عليه السلام في تحديد موقفه من أولئك الضالين الغلاة، ومن آرائهم المنحرفة ولعنه وطرده لهم. ننقل مثلاً لهذا الموقف موقفه من أتباع أبي الجارود. فقد نقل النديم في الفهرست:

إنّ الامام الصادق عليه السلام قال عنه: (لعنه الله انّه أعمى القلب، أعمى البصر)[١٩٢].

---

(١٨٩) النوبختي / فِرق الشيعة / ص ٤٤.

(١٩٠) النوبختي / فِرق الشيعة / ص ٤٥.

(١٩١) النوبختي / فِرق الشيعة / ص ٤٥.

(١٩٢) النديم / الفهرست / ص ٢٢٧.

كما لعن من الغلاة أبو منصور العجلي، فقد ورد:

(وأبا منصور العجلي قد لعنه الامام الصادق ثلاثاً، كما ذكره الكشّي في رجاله ص ٣٠٠، وصلبه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيّام هشام بن عبدالملك)[١٩٣].

وقد حدّد الامام الصادق عليه السلام موقفاً من أولئك الغلاة ـ أصحاب الفِرق والمقالات المخالفة لعقيدة التوحيد ـ، ثم ذكر مجموعة منهم، وهم:

المغيرة بن سعيد، وبزيع، والسري، وأبا الخطاب محمّد بن أبي زينب الأجدع، ومعمراً، وبشار الشعيري، وحمزة البربري، وصائد النهدي، وقال:

(لعنهم الله فإنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤونة كل كذّاب وأذاقهم حرّ الحديد)[١٩٤].

وورد عن الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام البراءة من أولئك الغلاة في حديث هذا نصّه:

«يا معشر الشيعة ـ شيعة آل محمّد ـ كونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جُعِلْتُ فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أُولئك منّا، ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير، يبلغه الخير ويؤجر عليه»[١٩٥].

ونقل إلينا أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام موقف الامام حين بلغه قول أبي الخطاب في الغلو، ونقلت إليه مقالة أبي الخطاب فيه، قال:

---

(١٩٣) سعد بن عبدالله الأشعري / المقالات والفِرق / ص ٤٧.

(١٩٤) رجال الكشّي / ص ٣٠٥.

(١٩٥) الطبرسي / مشكاة الأنوار في غرر الأخبار / ص ٦٦ / ط ٢ / ١٣٨٥ هـ.

(فرأيتُ أبا عبدالله قد أرسل دمعته من حماليق عينيه وهو يقول: «يا ربّ برئتُ إليك مما ادّعى فيَّ الأجدع عبد بني أسد، خشع لك شعري وبشري، عبد لك ابن عبد لك، خاضع ذليل، ثمّ أطرق ساعة في الأرض كأنه يناجي شيئاً، ثمّ رفع رأسه وهو يقول: أجل، أجل، عبد خاضع، خاشع، ذليل لربّه، صاغر، راغم من ربّه، خائف، وجل، لي والله رب أعبده، لا أشرك به شيئاً، ما له أخزاه الله وأرعبه ولا آمن روعته يوم القيامة.. ما كانت تلبية الأنبياء هكذا، ولا تلبيتي، ولا تلبية الرسل، إنما لبّيت: بلبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك»)(١٩٦).

وعن سدير قال:

(قلت لأبي عبدالله عليه السلام انّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: ﴿وهو الّذي في السّماء إله وفي الأرض إله﴾، فقال عليه السلام: «يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإيّاهم يوم القيامة إلّا وهو ساخط عليهم»)(١٩٧).

وكما كذبوا على الامام الباقر والصادق وتبرءا منهم، كذلك كذبت فِرق على الامام موسى بن جعفر بعد وفاته، وقالوا إنّه لم يمت، ولكن رُفِعَ كما رُفِعَ عيسىٰ، وسيعود مرّة أُخرى، فتبرّأ ولده الامام عليّ بن موسى الرضا منهم ولعنهم، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام يبرأون من أُولئك، وهكذا كان كما قال الامام الصادق، لا يزال يكذب على أهل البيت عليهم السلام في كل فترة كذّابون،

---

(١٩٦) العلّامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٣٧٨ / ط ٣ / ١٤٠٣ هـ، عن كتاب زيد النرسي.

(١٩٧) الكليني / أُصول الكافي / ج ١ / ص ٢٦٩ / ط ٢.

يستهدفون بذلك تشويه منهج أهل البيت عليهم السلام، والكيد للاسلام، وتعريض حياة الأئمة للأخطار وسوء السمعة، إلّا أن أهل البيت عليهم السلام حدّدوا الموقف الصريح من أُولئك المخرّبين كما أوضحنا. ومن نعم الله على الاسلام وأهله أن انقرضت تلك الفِرق الضالّة، ولم يبق منها إلّا ذكرها السّيّئ في كتب التاريخ، والغريب أنّ بعض الذين في قلوبهم مرض يحاولون أن يشوّهوا الحقائق ويقلبوا الأُمور، فيتّهموا منهج أهل البيت عليهم السلام بتلك الخرافات والأباطيل ويصوّروا الملتزمين بمنهج أهل البيت عليهم السلام بتلك الصورة الشوهاء المرفوضة المنقرضة، من هنا كان لا بدّ من الاشارة والتنبيه على هذه الدسائس الخطرة، والمحاولات الهدّامة التي تستهدف شق وحدة المسلمين وتزييف الحقيقة.

وواضح لدى المحققين والباحثين في شؤون العقائد أنّ هناك من ينستب إلى مذاهب المسلمين الأُخرى، ويقول بالجبر والتجسيم، وأنّ لله جسماً وله كرسي يجلس عليه، وأنّ كرسيه سبعة أشبار، وأنّ الله يُدخل رجله في جهنم يوم القيامة فيطفئ حرارتها، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا على حمار أبيض.

وواضح أنّ جميع هذه الأقاويل أباطيل تنافي عقيدة التوحيد، والاسلام منها براء.

منهج أهل البيت عليهم السلام
في تربية أصحابهم

قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام :

«انّي لأكره للرجل أن يموت، وقد بقيت عليه خلّة من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت بها»[198].

لقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام بتعليم أصحابهم وتلامذتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة لتجسيد العقيدة والأخلاق والأحكام والمفاهيم الاسلامية سلوكاً في واقع الحياة، وبناء وتربية الانسان المسلم وفق كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لايجاد شخصيات اسلامية تحمل منار الهداية والدعوة إلى الاسلام فتشع على الآخرين العلم والعمل، وتقودهم نحو الالتزام، لتكوين تيّار اسلامي في المجتمع بعد أن طرأت عليه عوامل التخريب والتحريف، والقيام بمهمة التغيير والاصلاح الاجتماعي، ونشاهد هذه الحقيقة متجسدة في سلوكهم وأخلاقهم عليهم السلام كما نشاهد هذا الاهتمام والاتجاه واضحاً في وصاياهم وتربيتهم لتلامذتهم وأصحابهم، فهذا الامام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام يزيح الشبهات التي روّجها بعض معاصريه ممن أرادوا تحريف الاسلام وهدمه: من أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام والموالاة لهم يكفي الانسان المسلم، ولا حاجة إلى الالتزام بالفرائض وما أراد الله، ويوضح لهم المنهج الحق الذي يسير عليه أهل البيت عليهم السلام ، ويجب أن يسير عليه المسلمون، ويلتزموا به، وهو منهج

---

(198) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٣٩ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

العلم والاعتقاد الحق، والعمل والتطبيق لكل ما جاء في القرآن، وبلّغه نبي الهدى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وسار عليه في حياته. لنستمع له وهو يوضّح هذه الحقيقة بقوله:

«والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجّة، ولا يتقرّب إلى الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولايتنا»(١٩٩).

وروى عمرو بن سعيد بن هلال قال:

«قلتُ لأبي جعفر عليه السلام جُعِلْتُ فداك إنّي لا أكاد أن ألقاك إلّا في السنين فأوصني بشيء آخذ به، قال: أوصيك بتقوى الله، والورع والاجتهاد، واعلم انّه لم ينفع ورع إلّا بالاجتهاد»(٢٠٠).

وأوصى الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أحد أصحابه أبا أسامة وأمره أن ينقل هذه الوصية لأتباعه، نقتطف من الوصيّة:

«فاتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكون شيناً، جرّوا إلينا كل مودّة، وادفعوا عنّا كل قبيح، فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله، وولادة طيّبة لا يدّعيها أحد غيرنا إلّا كذّاب(*)، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فانّ للصلاة عليه عشر حسنات»(٢٠١).

---

(١٩٩) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٧.

(٢٠٠) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

(*) يشير إلى شرف الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق أمّهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٢٠١) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

وأوصى الامام الصادق عليه السلام أحد أصحابه إسماعيل بن عمار بقوله:

«أوصيك بتقوى الله والورع، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وكثرة السجود، فبذلك أمرنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»(٢٠٢).

وروى هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لحمران:

«انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من الله، واعلم أن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين، واعلم أنّه لا ورع أنفع من اجتناب محارم الله، والكفّ عن أذى المسلمين واغتيابهم، ولا شيء أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل أضرّ من العُجب»(٢٠٣).

وروى الصادق عليه السلام في صفة المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من ساءته سيّئته، وسرّته حسنته فهو مؤمن»(٢٠٤).

هذه صفة المسلم المثالي الملتزم كما سعى لصناعته وتربيته وتكوينه أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو منهجهم في بناء وتربية الأمّة المسلمة والمجتمع المسلم، وهذه دعوتهم التي خاطبوا بها أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الالتزام بكتاب الله، وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبناء الحياة على أساس ذلك الهدى، وهذا المنهج القويم، فما أحرى المسلم أن يهتدي بهداهم، ويقتدي بوصاياهم، ويستمع إلى تذكرتهم.

---

(٢٠٢) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

(٢٠٣) المجلسي / بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ١٩٨، وفروع الكافي / ج ٨ / ص ٢٤٤.

(٢٠٤) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٧٧.

الدّور السياسي لأهل البيت عليهم السلام

لقد عرف المسلمون مقام أهل البيت وحقهم على هذه الأمّة وموقعهم السياسي الذي ينبغي أن يشغلوه، وهو موقع القيادة والامامة. لذا كان أهل البيت عليهم السلام على امتداد تاريخ الاسلام السياسي هم على قمة الهرم السياسي، وفي طليعة المعارضة المستهدفة للاصلاح وتطبيق أحكام الاسلام وإقامة العدل.

وواضح لدى الدارسين لتاريخ الاسلام السياسي أن الخلافة ورعاية شؤون الأمّة بعد انقراض الخلافة الراشدة تحوّلت إلى ملك عائلي، وسلطة وتسلّط، واستئثار بالأموال والمناصب، وتعطيل لأحكام الشريعة وتلاعب بها، فسبّب هذا التلاعب بالشريعة ومصالح الأمّة قيام الثورات والانتفاضات والصراع المرير الدامي، فسُفكت الدماء، وانتشرت الفرقة والفتن، ونشأت الأفكار والنظريات المنحرفة على طرفي نقيض. فبعضها يبرّر للحكّام ظلمهم وسيطرتهم على الأمّة ويدعو للخنوع والاستسلام، وتحريم المعارضة وعدم نقض بيعة الظالم، والرضى به على كل حال، وبعضها استغل الفرصة للقضاء على الاسلام وأهله فدعا بدعوات ضالّة جاهلية، دعا إلى اباحة المحرّمات والأموال والنساء وهدم الواجبات، كالقرامطة والمزدكيّة والخرّميّة، وأمثالهم، وبعضهم دعا إلى الفوضى والتخريب واباحة الدماء وتكفير الجميع كالخوارج ومن تأثّر بتيارهم.

وهكذا تبلبل الفكر السياسي ونشأت الاضطرابات والحروب الداخلية، وفي كل مشكلة فكرية وعقائدية تُعايشها الأمّة يكون أهل البيت عليهم السلام هم

الفئة الرائدة والمركزية الرسالية الموجهة للتيار السليم، والمثبتة لمنهج الحق فيتبع رأيهم، ويأخذ بموقفهم المسلمون، العلماء والعامّة، عدا من يرتبط بالسلطة، ويبرّر لها تصرّفها، ويدافع عن مصالحه المترتبة بمصالحها.

وفي بحثنا هذا سنتحدّث باختصار عن منهج أهل البيت عليهم السلام في العمل السياسي.

منهج أهل البيت عليهم السلام
في العمل السياسي

إنّ من يستقرئ سياسة أهل البيت عليهم السلام وكفاحهم وعملهم السياسي الظاهر منه والخفي خلال قرنين ونصف تقريباً من الزمان يستطيع أن يكتشف أن عملهم كان يرتكز على المبادئ الآتية:

١ ـ تربية الأُمّة على كراهية الظلم، وتركيز مفهوم العدل، وشرح فكرة الامامة والسياسة، وتوضيح أسس الحكم والسياسة في الاسلام، لتنمية الوعي السياسي في الأُمّة، وتعميق حسّها وزيادة نقمتها على الظالمين، وتحريك ركودها، ومن يستقرئ ما صدر عن أهل البيت عليهم السلام وما رووا ونشروا في هذا الشأن من روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكتشف أهمية هذه الخطوة في ايقاظ الحس السياسي وتعميق الوعي الاسلامي. نذكر نماذج من الرّوايات والأحاديث التي تتحدّث عن السلطة ومسؤولية الحاكم المسلم، ورفض الاسلام للظلم ودعوته للعدل، لنقف على جانب من فكر أهل البيت عليهم السلام، ومنهجهم في مقاومة الظلم، وتحريك الركود السياسي، ودفع الأُمّة للاصلاح والتغيير.

روي عن الامام الباقر عليه السلام أن شيخاً من النخع قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنّي لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال: فسكت ثم أعدت عليه، فقال: لا؛ حتى تؤدّي إلى كل ذي حقٍّ حقّه»(٢٠٥).

---

(٢٠٥) الكليني / الأصول من الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لمّا حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة، وبما ذكر بأن أباه أوصاه به، قال: يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله»(٢٠٦).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلّا الله عزّ وجلّ»(٢٠٧).

وروى الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اتقوا الظّلم، فإنّه ظلمات يوم القيامة»(٢٠٨).

وعن الصادق عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبّار من الجبّارين أن ائت هذا الجبار فقل له: أنني لم استعملك على سفك الدماء، واتخاذ الأموال، وانّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، فإنّي لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً»(٢٠٩).

وروي عن الامام الصادق عليه السلام:

«العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم»(٢١٠).

---

(٢٠٦) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٧) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٨) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٩) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٠) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

وقال عليه السلام:

«من عذر ظالماً بظلمه، سلّط الله عليه من يظلمه، فان دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته»(٢١١).

وروى أبو بصير قال:

«دخل رجلان على الامام الصادق في مداراة بينهما ومعاملة، فلما أن سمع كلامهما قال: أما انّه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم، أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم، ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشرّ إذا فعل به، أما أنه انّما يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً، ولا من الحلو مرّاً، فاصطلح الرجلان قبل أن يقوما»(٢١٢).

وورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مشىٰ مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنّه ظالم، فقد خرج من الاسلام»(٢١٣).

ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشدّ وأعظم عند الله من المعاصي ستين سنة»(٢١٤).

وورد عن جابر بن عبدالله الأنصاري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(٢١١) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٢) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٣) الطبرسي / مشكاة الأنوار / فصل الظلم / ص ٣١٥.

(٢١٤) الطبرسي / مشكاة الأنوار / فصل الظلم / ص ٣١٦.

«من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله»[٢١٥].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من ولي عشرة فلم يعدل بينهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فأس»[٢١٦].

وجاء عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«أيما رجل ولي شيئاً من أمور المسلمين فأغلق بابه دونهم، وأرخى ستره، فهو في مقت من الله عزّ وجلّ ولعنه حتى يفتح بابه فيدخل إليه ذو الحاجة ومن كانت له مظلمة»[٢١٧].

وهكذا كان منهجهم في تربية أصحابهم، وتوجيه الرأي العام الاسلامي نحو التغيير والاصلاح، والدخول في ميدان العمل السياسي من بابه الطبيعي.

٢ ـ المقاطعة: أما الأسلوب الثاني من أساليب العمل السياسي الذي لجأ إليه أهل البيت عليهم السلام كلّما تغشى الظلم والانحراف في الفهم والتطبيق، فقد اتخذوا بالاضافة إلى التوجيه وتعميق الوعي والحس السياسي، اتخذوا أسلوب المقاطعة، وقد قرأنا الحديث الشريف:

«من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الاسلام».

وقرأنا:

«العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به، شركاء ثلاثتهم».

وهكذا تأتي الدعوة صريحة إلى مقاطعة الظالمين، وعدم معاونتهم، فقد ورد في حديث آخر:

---

(٢١٥) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٨ / فصل الظلم.

(٢١٦) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٦.

(٢١٧) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٦.

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم، من لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مدّ لهم مدّة قلم، فاحشروهم معهم»[٢١٨].

نذكر نموذجاً لهذه المقاطعة، هو موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من الحكام الأمويين والعباسيين في عهد الامام عليّ بن الحسين السّجاد ثمّ الامام محمّد الباقر وجعفر الصادق وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى(*) ومحمّد الجواد(**) والامام الهادي والامام الحسن العسكري.

وهكذا كانت هذه الفترة فترة مقاطعة وعدم استجابة للحكّام أو أي تعاون معهم.. وقد عانى أهل البيت عليهم السلام من الحكّام الأذى والمطاردة والمراقبة والسجن والتشريد والضغط والارهاب، سنعرض لجانب منها في هذا الكتاب.

ولنضرب مثلاً لتلك المقاطعة، موقف الامام الصادق عليه السلام من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي عرف بقسوته، وسفكه للدماء، وظلمه لذرية الامام عليّ عليه السلام، فقد ذكر المؤرّخون أنّ المنصور كتب إلى الامام الصادق عليه السلام كتاباً يطلب منه مصاحبته، ويحاول جعله من علماء السلطة، فرفض الامام عليه السلام رغم الارهاب وقساوة الظروف، وردّ على المنصور ردّاً حاسماً.

جاء في كتاب المنصور:

---

(٢١٨) المجلسي / بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٧٢، عن كتاب ثواب الأعمال.

(*) قاطع الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الحكّام في عصره إلّا أنّه لظروف خاصّة قبل ولاية عهد المأمون وبشروط وتحفظات تحفظ للامام بُعده عن سوء التصرّف وسوء استعمال السلطة والتسلط الظالم.

(**) أمّا الامام الجواد عليه السلام فلم تطل فترة حياته، وزوّجه الخليفة المأمون ابنته، وحاول تكوين علاقة معه لاستمالة الرأي العام الموالي لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك فانّ الامام الجواد لم يُساهم في شيء، ولم يُعن المأمون، أو يتعاون معه.

(ولِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فكتب إليه الصادق عليه السلام: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّئك، ولا تراها نقمة فنعزّيك. فكتب إليه المنصور: «تصحبنا لتنصحنا» فأجاب الصادق عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك)(٢١٩).

وهكذا كان ردّ الامام وموقفه من الحاكم الذي لا يطبّق أحكام الشريعة، ولا يلتزم بمبادئها.

وعلى هذا النهج، نهج مقاطعة الحكّام الذين يمارسون الظلم، ولا يطبّقون أحكام الشريعة سار فقهاء أهل البيت عليهم السلام. فأفتوا بحرمة معونة الظالم، أو تولّي الوظائف له، فقد ثبّت الفقهاء جميعهم ذلك في كتب الفقه ـ باب المكاسب المحرّمة ـ نذكر منها قول الشهيد السعيد محمّد بن جمال(*) مكي العاملي رحمه الله (المعروف بالشهيد الأوّل)، قال رحمه الله في معرض تعداده للمكاسب المحرّمة:

(ومعونة الظالمين بالظلم، وعلّق الشارح عليها بقوله: كالكتابة لهم واحضار المظلوم ونحوه)(٢٢٠).

وحرّم الفقهاء قبول الوظائف للظالم أو الانضمام إلى أيّ مجال من مجالات السلطة إلّا إذا كان الهدف خدمة الاسلام من خلال الموقع، ودفع الظلم عن الآخرين، وعدم معونة الظالم بشكل يفوق ما يحقّقه من يتولّى منصباً من اصلاح ومنفعة.

---

(٢١٩) محمود أبو زهرة / الامام الصادق عليه السلام / ص ١٣٩.

(*) من عظماء فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، عاش في الفترة ما بين (٧٣٤ ـ ٧٨٦) هـ.

(٢٢٠) الشهيد الثاني / الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأوّل / ج ٣ / ص ٢١٣ / ط ٢.

٣ ـ الثورة وإسناد الثوّار واستعمال القوة: مبدأ الثورة ضدّ الظالم، وعدم اقرار الظلم، مبدأ اسلامي يقرّره واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلزم المسلمين به، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر، فأمره ونهاه فقتله».

ومن يتابع سيرة أهل البيت عليهم السلام السياسية وكفاحهم ومعارضتهم يجدهم خط معارضة، ودعاة اصلاح وكفاح، وقادة مسيرة السياسة، فقد رفض أهل البيت عليهم السلام مبدأ الوراثة في الحكم الذي فرض على الأمّة الاسلامية أيام معاوية بن أبي سفيان، وتسلّط ابنه يزيد على رقاب المسلمين، الذي لم يكن مؤهّلاً للخلافة، وفاقداً لكل شرط من شروطها، فجرّها إلى الفساد والانحراف مما جعل الامام الحسين السبط بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلن الثورة، ويتوجّه من المدينة إلى العراق بعد أن استقرّ في مكّة نحو أربعة أشهر، وهناك في كربلاء في أرض العراق، كانت المعركة، وانطلاقة الثورة، وشلّال الدم المقدّس، وشهادة السبط الحسين عليه السلام، فهزّ ضمير الأمّة، وحرّك ركودها بدمه الطاهر، ودم أهل بيته وصحبه الأبرار، الذي فاق عددهم على السبعين شهيداً، لقد كانت هذه الثورة أوّل ثورة في الاسلام ضدّ الحاكم الظالم، وخلع البيعة المزيفة، والاعلان عن اسقاط الحكم الفاسد المخالف لمبادئ الاسلام، مقابل دعوات الخنوع والاستسلام، وتخدير الرأي العام، من قبل علماء قصور الحكّام الذين كانوا يرفعون شعار الالتزام بالبيعة للظالم، والوفاء بالعهد له مهما يفعل، متناسين قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس لمستعص يمين».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق».

ومتغافلين عن قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. (هود / ١١٣)

أمّا السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام فقد رفع شعار الثورة واستشهد في العاشر من محرّم عام (٦١) هـ، في كربلاء العراق، ومزّق كل تلك الشعارات، وأسقط هذه النظريات المضللة، فعلا صوت الدم والشهادة فوق صوت الطمع والخنوع.

وقد حدّد الامام الحسين الشهيد عليه السلام للأُمّة منهاج ثورته ودوافعها بقوله:

«لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أُمّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي»[٢٢١].

ثمّ حدّد للأُمّة صفة الإمام، والقائد الذي يقود المسلمين، ووجوب الثورة وتغيير الحاكم إذا انحرف عن هذه المبادئ، وأصرّ على موقفه.

قال عليه السلام في رسالة لأهل الكوفة:

«فلعمري ما الامام إلّا الحاكم القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله»[٢٢٢].

وكتب إلى زعماء البصرة كتاباً جاء فيه:

«وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»[٢٢٣].

وهكذا ثبّت الامام الحسين عليه السلام مشروعية الثورة على الحاكم الظالم،

---

(٢٢١) الخوارزمي / مقتل الحسين / ج ١ / ص ٨٨.

(٢٢٢) الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٤.

(٢٢٣) عبدالرزاق المقرّم / مقتل الحسين / ص ١٤١ ـ ١٤٢.

وأعلن مبدأ الكفاح والجهاد المقدّس ضدّه.

وفي سيرة أهل البيت عليهم السلام السياسية تقرأ اسنادهم للثورات العلوية التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان في طول البلاد الاسلامية وعرضها بعد ثورة الحسين عليه السلام المباركة.

فكانت ثورة زيد بن الامام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام حفيد الامام الحسين الشهيد عليه السلام سنة (١٢١) هـ، وكانت الثورة في عهد الامام الصادق عليه السلام فأيّد ثورته وفجع بشهادته(*).

فعن فُضيل الرّسّان قال:

(دخلتُ على أبي عبدالله بعدما قتل زيد بن عليّ فأُدخلت بيتاً جَوْفَ بيت، فقال لي: يا فُضيل قُتِلَ عمّي زيد؟ قلت: جُعِلْتُ فداك، قال: رحمه الله، أما انّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما انـه لو ظفر لوفى، أما انّه لو ملك لعرف كيف يضعها)(٢٢٤).

وهكذا كان التأييد للثورة والثوّار، وكان التفاهم والالتقاء بين أئمة أهل البيت عليهم السلام والثوّار العلويين.

ومن الأمثلة الرائعة لهذا النمط من العمل السياسي هو موقف الامام الكاظم عليه السلام من الحسين بن عليّ صاحب ثورة فخ الشهيرة في شهر ذي القعدة عام (١٦٩) هـ في المدينة المنوّرة.

فإنّ التصريحات والوثائق التاريخية تشير إلى تأييد الإمام لمبدأ الثورة على

(*) من الجدير بالذكر انّ أبا حنيفة إمام المذهب الحنفي قد أيّد ثورة زيد وأفتى بصرف الزكاة لهذه الثورة.

(٢٢٤) العلّامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٣٢٥ / ط ٣، عن كتاب رجال الكشّي.

الحكم الظالم، ووقوفه إلى جانب الثوّار وتمازجه معهم، رغم انّه كان يرى فشل تلك الثورة نظراً لعدم توفّر الظروف الطبيعية الكافية لنجاحها. لذلك خاطب قائد الثورة حين رآه عازماً على الثورة بقوله:

«انّك مقتول فأحدّ الضراب، فانّ القوم فُسّاق، يُظهرون إيماناً، ويُضمرون نِفاقاً وشِركاً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعند الله أحتسبكم من عُصبة»(٢٢٥).

وحين استشهد الحسين وأصحابه وجيء بالرؤوس إلى المتسلّطين من رجال الحكم العباسي (إلى موسى والعباس) وقيل للامام هذا رأس الحسين؟ قال:

«نعم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّاماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله»(٢٢٦).

ولقد كان الحسين يدعو الناس بقوله:

«أدعوكم إلى الرضىٰ من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، والعدل في الرعيّة»(٢٢٧).

فدعوة الثائر العلوي صريحة إلى الشخص المرضي والمؤهّل للخلافة من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وربّما عنى بذلك الامام الكاظم عليه السلام نفسه. كما كان موقف زيد وتصريح الامام الصادق بالترحّم عليه، وانّه كان يسعى لوضع الأُمور في موضعها، كان ينوي تسليمها للإمام جعفر بن محمّد عليه السلام.

ان الخليفة العباسي أدرك تأييد الامام لثورة الحسين صاحب معركة فخ.

نقل العلّامة المجلسي موقف الخليفة العباسي بقوله:

(٢٢٥) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبيين / ص ٤٤٧.

(٢٢٦) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبيين / ص ٤٥٥.

(٢٢٧) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبيين / ص ٤٥٠.

(وأخذ من الطالبيّين وجعل ينال منهم ـ إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام ـ فنال منه، قال: والله ما خرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتّبع إلّا محبّته، لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه)(٢٢٨).

وقد أعلن الامام الجواد عليه السلام موقفه من الثورة والثوّار، وهو حفيد الإمام الكاظم عليه السلام بقوله:

«لم يكن لنا بعد الطّف مصرع أعظم من فخ»(٢٢٩).

وهكذا قرأنا أمثلة من الثورة، وتأييد الثوّار من قبل أهل البيت عليهم السلام، بحيث أصبح ذلك منهجاً وأسلوباً من أساليب العمل السياسي الذي اكتسب بثوراتهم وتأييدهم الشرعية.

٤ ـ المقاومة السياسية: وللمقاومة السياسية دورها وأهميتها في حياة الأُمّة السياسية كلما ظهر حاكم ظالم لا يطبّق أحكام الله، ولا يقيم العدل بين الناس، وقد احتل كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام دور القيادة والزعامة السياسية في عصره، وكان رمز المعارضة في وعي الجماهير ودعاة الإصلاح وقادته، فقد كان وجود كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام يجسّد كيان المعارضة، ويمنحه الشرعية، وكان خلفاء بني أُمية وبني العباس الذين شهد التاريخ بابتعادهم عن الاسلام، وعدم التزامهم به، وغياب العدل تحت سلطتهم، يعرفون مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام، وموقعهم في ضمير الأُمّة ووعيها، وكانوا يعملون للتخلّص منهم وابعاد الرأي العام عنهم بشتى الوسائل، الارهاب والرشوة، والقتل، والسجون، والمناصب ... الخ.

لذلك نشاهد موقف معاوية من الامام عليّ عليه السلام، ومحاربته له، والتمرّد على

---

(٢٢٨) العلّامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٨ / ص ١٥١، عن مهج الدعوات.

(٢٢٩) المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٦٥، نقلاً عن كتاب عمدة الطالب.

خلافته الشرعية.

وموقفه من الامام الحسن بن عليّ عليه السلام ومحاربته له وتمرّده على خلافته الشرعية، ثمّ دسّ السم له وقتله سنة (٥٠) هـ.

وموقف يزيد بن معاوية من الامام الحسين، وقتله له ولأهل بيته وسببه لذراري رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قاد الامام الحسين عليه السلام الثورة والمعارضة ضدّ الحكم الأموي المتسلّط على رقاب الناس.

وبعد الحسين الشهيد كان المسلمون يرون في عليّ بن الحسين عليه السلام ، الرمز والموجّه لهم، لذلك كان الثوّار يستأذنونه، وحدثت عدّة ثورات للدفاع عن أهل البيت عليهم السلام في عهده، كثورة المدينة، وثورة مكّة، وثورة المختار، وثورة التوّابين، انتقاماً من قتلة الامام السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام ، وفي هذه الفترة كان السجّاد في نظر الأمّة والثوّار قمة المعارضة رغم أنه لم يظهر أي تحرّك، ولقد كان موقفه من يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبدالملك ابن مروان، وغيرهم من الحكّام موقف الرافض والمقاوم مقاومة سياسية صامتة ومؤيّداً تأييداً غير معلن للثوار، حتى أنه أظهر الترحّم على المختار الذي اقتصّ من قتلة الامام الحسين عليه السلام ، وأثنى على ثورته، كما استعمل سلاح الدعاء(*) الذي كان يحمل موقفه ورأيه السياسي والعقائدي المعارض.

وجاء بعده دور ولده الامام محمّد الباقر عليه السلام ، فكان له موقف المعارضة والمقاومة السياسية من الحكم الأموي.

وما عانى من الحكّام الأمويين ـ خصوصاً ـ هشام بن عبدالملك، الذي أظهر العداوة والكراهية للعلويين كان دليلاً على ذلك.

لقد بدأ تحرّكاً علوياً في عصره فكان الوجه البارز له هو زيد بن عليّ بن

(*) جُمعت أدعية الامام السجّاد عليه السلام في صحيفة تُسمّى الصحيفة السجّادية.

الحسين عليه السلام أخو الامام محمّد الباقر عليه السلام .

لقد كان الخليفة الأموي واثقاً من أنّ مصدر الوعي والتحرّك السياسي هو الامام الباقر وولده جعفر الصادق عليه السلام فاستدعاهما معاً من المدينة المنوّرة إلى عاصمته في الشام، وحين قدم على الخليفة الأموي ودخل مجلسه ثمّ سلّم مشيراً إلى الحاضرين بيده، ولم يسلّم عليه بالخلافة، وجلس بغير إذنه، ازداد هشام عليه حقداً ثمّ قال:

(«يا محمّد بن عليّ لايزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنه الامام سفهاً وقلّة علم».

وجعل يوبّخه، فلمّا سكت أقبل الحاضرون على توبيخ الامام عملاً بتوصية هشام للحاضرين قبل دخول الامام عليه، فلما رأى الامام ذلك الموقف، قام خطيباً وسط المجلس، وردّ عليهم بقوله:

«أيّها الناس أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل، فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس من بعد ملكنا ملك، لأنّا أهل العاقبة».

يقول الله عزّ وجلّ:

﴿وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾.

فأمر به هشام إلى الحبس)(٢٣٠).

وهكذا أودعوا الامام السجن، فاستثمر الامام عليه السلام وجوده بين السجناء، وراح يواصل دوره الجهادي والعلمي في التثقيف والتوعية السياسية، فتوجّه صاحب السجن إلى هشام وأخبره بتأثير الامام، وإحداثه ضجّة وسط

(٢٣٠) ابن شهرآشوب / المناقب / ج ٤ / مسألة حمل الامام الباقر إلى الشام.

السجن، فخاف هشام من هذا التأثير، فأمر باخراجه من السجن، واعادته إلى المدينة هو وأصحابه بواسطة البريد الرسمي للدولة(٢٣١).

أمّا ابن جرير الطبري فأفاد بأن سبب اعادة الامام إلى المدينة هو انتشار تأثيره الفكري بين جماهير الشام أثر حوار جرى بينه وبين زعيم النصارى(٢٣٢).

وفي حوار جرى بين هشام بن عبدالملك وبين زيد حين بلغه نشاط زيد وتحرّكه، قال هشام لزيد:

(بلغني انّك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولست أهلاً لها، وأنت ابن أمة).

فردّ عليه محتجّاً بأنّ النبيّ إسماعيل كان ابن أمة، وآتاه الله النبوّة. ثمّ أخذ هشام يذكر الامام ويتهجّم عليه أمام زيد، سأل هشام زيداً:

(وأخوك البقرة، فقال زيد: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقر(*)، وتسمّيه البقرة، لشدّ ما اختلفتما، لتخالفنّه في الآخرة، كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة وترد النار).

وهكذا كان موقف الامام الباقر عليه السلام ومعارضته السياسية حتى توفّاه الله إليه.

ثمّ جاء من بعده دور ولده الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وفي هذه الفترة اشتدّت المحنة على الأمّة بصورة عامّة، وعلى آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(٢٣١) ابن شهرآشوب / المناقب / ج ٤.

(٢٣٢) محمّد بن جرير الطبري / دلائل الامامة / حياة الباقر عليه السلام.

(*) يشير إلى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري: انّك مدرك أحد ولد الحسين، وانّه سيبقر العلم فاقرئه عنّي السلام. لذلك سمّي الامام الباقر بهذا الاسم.

بصورة خاصّة.

لقد كان الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام زعيم المعارضة والمقاومة السياسية، رغم صمته وعدم تعرّضه المكشوف للسلطة، فكان الثوّار يستشيرونه، ويطلبون منه اسناد تحرّكهم، أو تقبّل القيادة منهم، كما فعل أبو مسلم الخراساني حيث عرض عليه البيعة فرفضها لعلمه بعدم اكتمال الشروط الموضوعية المناسبة، وكما كان موقفه من ثورة زيد أيام هشام بن عبدالملك الأموي.

لقد كان أبو العباس السفّاح يعرف دور الامام وقيادته للمعارضة، وكان يخاف شخص الامام، لذا فقد حاول قتله والتخلّص منه، ولكن الله حال بينه وبين ذلك، فقد استدعاه من المدينة المنورة إلى الحيرة مرّة وضيّق عليه، وكان يراقبه ويتجسّس عليه.

وعندما تسلّم أبو جعفر المنصور منصب السلطة في الدولة العبّاسية كان كسلفه السفّاح يخشى زعامة الامام الصادق عليه السلام وجلوسه على قمة هرم المعارضة، وقد استدعاه وجلبه من المدينة المنوّرة إلى العراق مرّات.

وكان يعبّر عن قوّة شخصية الامام عليه السلام السياسية وتأثيره في أوساط المعارضة وخوفه منه بقوله:

(وهذا الشجن المعترض في حلوق الخلفاء، الذي لايجوز نفيه، ولا يحلّ قتله، ولولا ما تجمعني وإيّاه من شجرة طاب أصلها، وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذرية، وقدّست في الزّبر، لكان في ما لا يحمد في العواقب لما يلغني من شدّة عيبه لنا، وسوء القول فينا)[٢٣٣].

وهكذا كان موقف الامام الصادق عليه السلام موقف المعارضة السياسية،

(٢٣٣) محمود أبو زهرة / الامام الصادق / ص ١٣٨.

واحتلال موقع القيادة في تحرّكها.

ثمّ جاء دور الامام موسى بن جعفر عليه السلام ابن الامام الصادق عليه السلام، الذي تجسّد فيه الموقف السياسي والصراع العنيف، فقد وقف الامام بوجه الحكّام العباسيين الذين عُرِفوا بانحرافهم عن الاسلام، وامتهانهم للأُمّة، واستئثارهم دون المسلمين بالمال والسلطة.

لقد وُضِعَ الامام الكاظم عليه السلام تحت الرقابة وعيون الجواسيس أيام أبي جعفر المنصور الذي بالغ في ظلم العلويين، وصادر أموالهم، وبنى عليهم اسطوانات القصور والجسور وهم أحياء، وعذّبهم في السجون والطوامير.

وفي أيام محمّد المهدي العباسي اشتدّت المخاوف من شخصية الامام الكاظم عليه السلام فاستدعاه من المدينة المنوّرة إلى بغداد لمحاكمته، والتحقيق معه، وزجّه في السجن إلى أن رأى الخليفة العباسي الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المنام، وهو يقول له: يا محمّد:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ﴾.

(محمّد / ٢٢)

ففزع المهدي وأخرج الامام الكاظم عليه السلام من سجنه.

وفي أيام الهادي العباسي اشتدّت المحنة على الامام وعلى آل عليّ عليه السلام، وراح يطاردهم ويقتلهم ويستأصل وجودهم خصوصاً بعد ثورة الحسين بن عليّ صاحب وقعة فخ، وقد أصاب الكاظم عليه السلام شدّة وضيقٌ، حتى أنّ الهادي هدّد الامام بالقتل وشرع في تنفيذ ذلك. وينقل المؤرّخون أنّ القاضي أبا يوسف صاحب الامام أبي حنيفة تدخّل في الأمر فحال بين الهادي وبين قتل الامام الكاظم عليه السلام، حتى أنه قال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر.

ثمّ قرّر اعتقال الامام وسجنه، والحيلولة دونه ودون ممارسة دوره العلمي

والقيادي في أوساط الأُمّة وعاجلت الهادي العباسي المنيّة، وانتهت مرحلة الصراع القاسي المرير معه.

وجاء دور هارون الرشيد، فكان صراعاً ضارياً، ونزاعاً عنيفاً بينه وبين الامام موسى بن جعفر عليه السلام، فاستدعاه من المدينة المنوّرة إلى العراق وبالغ في أذى الامام وسجنه وتعذيبه وتقييده وإثقاله بالحديد ونقله من سجن إلى سجن حتى مكث فيها عدّة سنين، ثم استشهد مسموماً في بغداد على يد السندي بن شاهك مدير شرطة الرشيد، وبأمر منه في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة.

ثم جاء دور الامام عليّ الرضا عليه السلام بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام، الذي أصبح زعيماً بارزاً، وقيادة سياسية، فرض وجوده على الحكم والسلطة العباسية، نتيجة لاشتداد المعارضة وقوة شخصية الامام، وحب الأُمّة له، فاضطرّه المأمون العباسي أن يكون وليّاً للعهد، فقبل مضطرّاً بشرط أن لايدخل في شيء من شؤون السلطة، وأنّ الخلافة تؤول إليه بعد موت المأمون، واستشهد مسموماً والمأمون حي سنة (٢٠٣) هـ.

ومن بعده تولّى شؤون الامامة وزعامة آل البيت عليهم السلام ولده الامام محمّد الجواد عليه السلام، الذي عاصر المأمون العباسي فترة من الزمن فعامله المأمون بالاحترام والتقدير، وزوّجه ابنته أمّ الفضل ليكسب ودّ الأُمّة، ويستقطب الرأي ويستميل المعارضة التي كان يقودها الامام إليه، إلّا أنّه لم يكسب من موقف الامام شيئاً، وترك الامام بغداد وعاد إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليواصل مهامه العلمية ودوره القيادي هناك.

وبعد موت المأمون تولّى أمور الخلافة ولده المعتصم، فاستشعر من وجود الامام الخطر وهو في المدينة المنوّرة، فاستدعاه كما فعل سلفه من حكّام بني العباس وأحضره إلى بغداد، فأقام فيها ليكون تحت الرقابة المباشرة للسلطة،

وليكون بعيداً عن العاصمة العلمية (المدينة المنوّرة)، وبعيداً عن مركز التأثير ليعزله عن القاعدة الجماهيرية، وعن التأثير العلمي والفكري أيضاً. ويذكر المؤرّخون انّه توفي مسموماً في السنة التي استدعي فيها إلى بغداد سنة (٢٢٥) هـ.

وحين انتهت الامامة إلى عليّ الهادي عليه السلام ابن الامام محمّد الجواد سنة (٢٢٥) هـ بعد وفاة أبيه محمّد الجواد عليه السلام، كان هو المتولّي لشؤون الامامة والزعامة السياسية، وقد تصدّت له أجهزة الحكم العباسي أيام سلطة المتوكّل الذي عُرِفَ بلهوه ومجونه وعداوته لآل الرسول عليه السلام، وقتله لهم ومطاردته اياهم، وقطع أرزاقهم، ومنع الناس من مساعدتهم. كان الامام الهادي يثير رعبه وفزعه، لذلك استدعاه من المدينة المنوّرة، من مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سامراء ليكون تحت الرقابة، وفرض عليه الإقامة الجبريّة في سامراء، ولقد عرّضه المتوكّل العباسي مرّات عديدة للتهديد ومحاولة القتل والسجن، وفُتِّشت داره، وهُوجِمَ بيته، وشدّد عليه في الرّقابة والتجسّس مخافة قيادته ودوره السياسي في أوساط الأُمّة واستقطابه للرأي العام.

وقد ذكر المؤرّخون وأصحاب السير سبب جلب المتوكّل للامام الهادي عليه السلام، نذكر منها قول سبط ابن الجوزي:

(قال علماء السير: وانّما أشخصه المتوكّل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بغداد، كان يبغض عليّاً وذريته، فبلغه مقام عليّ الهادي بالمدينة، وميل الناس إليه، فخاف منه)(٢٣٤).

وبعد وفاة الامام عليّ الهادي عليه السلام سنة (٢٥٤) هـ في سامراء تولّى شؤون الامامة والزعامة الدينية والسياسية ولده الامام أبو محمّد الحسن عليه السلام، الذي

---

(٢٣٤) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٣٥٩.

انتقل إلى سامراء برفقة أبيه عندما استدعاه المتوكّل، فكان كآبائه في موقفه من الحكّام العباسيين، موقف المعارضة والمواجهة السياسية، فعانى من حكّام عصره ما عانى آباؤه من حكّام عصورهم، فقد أوذي واضطهد في سامراء وسجن فيها، فقد سجنه المهتدي بن الواثق العباسي، وسلّمه سجانين عرفوا بالقسوة والارهاب، إلّا أنّ الامام أثّر فيهم فاهتدوا وصلحوا.

وقد حفظ لنا التاريخ بعضاً من هذه المحنة القاسية التي مرّ بها الامام عليه السلام ترون فيها ما حدّث به أحمد بن محمّد، قال:

(كتبتُ إلى أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، حين أخذ المهتدي في قتل الموالي وقلت: يا سيدي، الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني أنه يتهدّدك ويقول: والله لأجليَنّهم عن جديد الأرض، فوقّع أبو محمّد بخطه: ذاك أقصر لعمره)(٢٣٥).

ويذكر أنّ الامام الحسن العسكري عليه السلام كان في الحبس في عهد المعتمد أيضاً حتى استدعاه المعتمد ليحل مشكلة حصلت للمسلمين مع رهبان النصارى تتعلّق بقضية الاستسقاء، فأوجد لها الامام عليه السلام الحل والجواب، فأطلق سراحه من السجن، كما طالب بإطلاق أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأطلقوا.

تلك لمحة تاريخية موجزة عن تاريخ أهل البيت عليهم السلام السياسي، وكفاحهم ضدّ حكّام عصرهم المتسلّطين، ولا بد لنا من أن نطيل النظر في هذه السلسلة المباركة، وترابط حلقات مسيرة أهل البيت عليهم السلام، وكيف أن أحد عشر إماماً كل واحد منهم زعيم عصره، وقائد أمّته، وأعلم العلماء في زمانه، انّ مثل هذا لا يكون أمراً عفوياً، ولا يحدث مصادفة، انّما حدث عن طريق تسلسل

---

(٢٣٥) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / حياة الامام الحسن العسكري عليه السلام.

الامامة والقيادة في أهل هذا البيت عليهم السلام، ممّا يعرّفنا بمقامهم، ودورهم العقائدي والسياسي في حياة هذه الأُمّة.

نظرة في المدارس الفقهية

كان المسلمون أيام رسول الله ﷺ يتلقّون الأحكام والقوانين التي تنظّم شؤون مجتمعهم وعباداتهم، كأحكام الصلاة والأسرة والمواريث والتجارة والجهاد والحج والاجارة والأرض والقضاء وأمثالها. كانوا يتلقّونها من رسول الله ﷺ فهو مبلّغ الرسالة، والداعي إلى الهدى، والناطق بلسان الوحي، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كانوا يرجعون إلى كتاب الله، وسنّة نبيهم، يأخذون منها الأحكام والقوانين، والمواقف الشرعية، عن طريق الصحابة، وأهل البيت عليهم السلام ، الذين حفظوا السنّة، ووعوا كتاب الله، وكان طبيعياً أن يتطوّر المجتمع الاسلامي، وتتسع الحياة المدنية. وتبرز مسائل جديدة، وتحدث أحداث ووقائع مستجدّة، في مجالات الحياة الانسانية، تحتاج إلى بيان رأي الاسلام فيها، وتحديد القانون والحكم الشرعي الذي ينظّمها، فبدأ هذا النمو والاتساع في الفقه والتشريع في أواخر القرن الأول تقريباً، وكان ذلك في عهد الامام محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين عليه السلام ، فكان الامام الباقر كما يثبت ذلك الفقهاء، وعلماء الحديث والرجال والسير هو عالم المدينة، ومرجع العلماء في عصره، لذلك سمّي بالباقر، لتوسعه في العلوم ونشره لها، ثم شهدت العلوم الاسلامية والفقه والتشريع ازدهارها في أيام ولده الامام جعفر بن محمّد الصادق الذي كان استاذاً لبعض أئمة المذاهب الاسلامية، وما كان الامامان الباقر والصادق بمجتهدين، بل كانا راويين لسنّة رسول الله ﷺ ، ومبيّنين لما حوى كتاب الله، وفي هذه المرحلة، أيام الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بدأت بعض المدارس الفقهية تظهر كمدرسة الرأي والقياس ـ مدرسة الامام أبي حنيفة (النعمان بن ثابت) ـ الذي تتلمذ

مدّة على يد الامام الصادق عليه السلام، ومدارس فقهية أُخرى تحدّدت فيما بعد في أربع مدارس هي: (الحنفية، والمالكية، والحنبلية، والشافعية) مختلفة فيما بينها في مناهج الاجتهاد، وقبول الرّواية، إلى جانب مدرسة النص التي كان يتزعّمها الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، والتي كانت تعتمد: (الكتاب والسنّة) كمصدرين وحيدين للأحكام والقوانين الاسلامية، وترفض الرأي والقياس الحنفي كما ترفض المصادر التشريعية الأُخرى، في حين تبنّت المدارس الفقهية الأربع مصادر تشريعية أُخرى إلى جانب الكتاب والسنّة، اعتمدتها في الاجتهاد والاستنباط، كما اعتمدت الكتاب والسنّة، وأهمّها:

١ ـ القياس (*).

٢ ـ الاستحسان.

٣ ـ المصالح المرسلة.

٤ ـ فتح الذرائع وسدّها.

وقد اختلفت المذاهب الاسلامية الأربعة: (الحنفية، المالكية، الحنبلية، الشافعية) فيما بينها في قبول هذه المصادر وعدم قبولها، ولم يتّفقوا جميعاً عليها، فبعضهم يقرّ هذا المصدر، وبعضهم يرفض ذاك.

وبسبب الاعتماد على قبول بعض هذه المصادر، أو رفض بعضها من قبل المذاهب الفقهية الأربعة، نشأ الخلاف الفقهي ووجهات النظر الاجتهادية فيما بينها، إلى جانب المدرسة الفقهية ـ مدرسة النص التي كان يتزعّمها أئمة أهل

(*) القياس الذي رفضته مدرسة النص ـ مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ هو قياس الحكم الجزئي على جزئي آخر (القياس التمثيلي كما يسمّيه علماء المنطق) وتبنت هذه المدرسة القياس العلمي الذي هو عبارة عن ردّ الفروع إلى أُصولها أو تطبيق القاعدة الكلية على جزئياتها.

البيت عليهم السلام ـ لذلك ظهر الخلاف بين هذه المدارس الفقهية الخمسة في الأحكام الجزئية. وإذن فمرّد هذا الخلاف يرجع بصورة أساسية إلى سببين رئيسين هما:

١ ـ تبنّي بعض مصادر التشريع إلى جانب الكتاب والسنّة، من قبل البعض، ورفضها من قبل الآخرين.

٢ ـ الخلاف في قبول بعض الرّوايات، وعدم قبولها، تبعاً لشروط قبول الرّواية، وتصديق بعض الرّواة، أو عدم تصديقهم.

وهكذا نعرف أنّ الخلاف بين مذاهب الفقه والتشريع هو خلاف علمي، وليس بين المسلمين اليوم خلاف عملي غير هذا الخلاف.

والخلاف العلمي لا يصح أن يكون سبباً للفرقة والتباعد بين أبناء الأمّة الاسلامية الواحدة، ويمكن علاج هذا الخلاف الفقهي بالحوار والبحث العلمي القائم على أسس موضوعية ومسلّمات أساسية يجمع عليها المسلمون جميعاً، ويفتح باب الاجتهاد(*) المغلق عند بعض مذاهب المسلمين. وينبغي الانتباه هنا إلى أنّ هذا الخلاف الفقهي، ليس خلافاً بين سنّة وشيعة، بل هو خلاف بين مدارس ومذاهب فقهيّة، تعدّ الآن بستّة مذاهب: (الحنفيّة والمالكية والحنبليّة والشافعيّة والجعفريّة والزيديّة) إضافة إلى آراء واجتهادات فقهيّة لبعض الفقهاء تقع في هذا الاطار أو خارجه، وعندما يفتح باب الاجتهاد لدى المسلمين جميعاً ويمارس الفقهاء عملهم العلمي، يمكنهم أن يحدّدوا الأصول الاستنباطية، ومصادر التشريع، وكيفية استفادة الأحكام من المصدر الأساس (الكتاب والسنّة)، فبالرجوع إليهما وتنقيح الرّوايات والأحاديث واسقاط المدسوس والغريب منها، من دون تعصّب أو ميل لرأي، أو معتقد

(*) الاجتهاد: هو عملية استخراج الأحكام الشرعية الفرعية من أدلّتها التفصيلية.

دون دليل علمي، يستطيع المسلمون أن يلغوا كثيراً من المشاكل الخلافية، ويكتشفوا الصواب العلمي ويوحّدوا صفوفهم ورأيهم، بيد أنّ وجهات النظر العلمية بين العلماء والفقهاء ستبقى قائمة. كما هي الحال بين فقهاء كل مذهب من مذاهب المسلمين. فتلك حقيقة علمية تقع في كل حقل من حقول العلم والمعرفة الانسانية، وهي لابدّ وأن تقع في حقل الاجتهاد والاستنباط. لأنّ الفقهاء ليس بوسعهم أن يكتشفوا الأحكام الواقعية جميعها، بل المجتهد يخطئ ويصيب، وهو معذور في عمله هذا، ومثاب عليه ما دام عمله قائماً على أُسس علمية، وشرعية صحيحة.

وفيما يلي نذكر نماذج من الآراء الفقهية، وكيف أنّ بعض هذه الآراء تلتقي، أو تختلف فيما بينها، بغض النظر عن كونها تنتمي إلى السنّة أو الشيعة. فمثلاً:

قال الامامية والحنابلة: إنّ التشهّد الأوّل (في الصلاة) واجب، وقالت الحنفية والشافعية والمالكية: بانّه مستحب، وليس بواجب.

أما التشهّد الأخير فقال الشافعية والامامية والحنابلة بوجوبه، وقال المالكية والحنفية: مستحب وليس بواجب[٢٣٦].

قال الشافعية والمالكية والحنابلة: التسليم (في الصلاة) واجب، وقال الحنفية: ليس بواجب، واختلف الامامية، فقال جماعة بالوجوب، وآخرون بالاستحباب، ومن القائلين بالاستحباب: المفيد والشيخ الطوسي والعلاّمة الحلّي[٢٣٧].

وفي صلاة الجماعة قالت الحنابلة انّها واجبة وجوباً عينياً على كل فرد مع

---

(٢٣٦) بداية المجتهد / ج ١ / ص ١٢٥.

(٢٣٧) الشيخ محمّد جواد مغنية / الفقه على المذاهب الخمسة / ط ٦ / دار العلم للملايين / ص ١١٤.

القدرة ولكن إذا تركها وصلّى منفرداً أثم وصحّت صلاته.

وقال الامامية والحنفية والمالكية وأكثر الشافعية: لا تجب عيناً ولا كفاية، وانّما تستحب استحباباً مؤكّداً.

وفي استحقاق الزكاة. قال الشافعية والحنابلة: من وجد نصف كفايته لا يعد فقيراً ولا تجوز له الزكاة. وقال الامامية والمالكية: الفقير الشرعي من لا يملك مؤونة السنة له ولعياله، فمن كان عنده ضيعة أو عقار أو مواشي لا تكفي عياله طول السنة يجوز اعطاؤه من الزكاة.

وقال الامامية والشافعية والحنابلة: من قدر على الاكتساب لا تحل له الزكاة.

وقال الحنفية والمالكية: بل تحل وتدفع له.

وفي المبيت بالمزدلفة في فريضة الحج قال الحنفية والشافعية والحنابلة: يجب المبيت بالمزدلفة، ومن تركه فعليه دم (ذبيحة). عن المغني.

وقال الامامية والمالكية: لا يجب، ولكنه الأفضل.

وفي رمي جمرة العقبة ـ وهي من مناسك الحج ـ قال المالكية والحنفية والحنابلة والامامية: لا يجوز رمي جمرة العقبة قبل الفجر فاذا رماها قبله من غير عذر أعاد، وأجازوا التقديم لعذر كالعجز والمرض والخوف.

وقال الشافعية: لا بأس بالتقديم، لأن الوقت المذكور للاستحباب لا للوجوب (التذكرة وبداية ابن رشد).

وفي عقد الزواج قال الامامية والحنابلة والشافعية: لا يصح العقد بالكتابة (بالمراسلة).

وقال الحنفية: يصح إذا لم يكن الخاطب والمخطوبة في مكان واحد.

قال الشافعية والمالكية: ينفرد الوالي بزواج البالغة الراشدة، إذا كانت

بكراً، أما إذا كانت ثيباً فهو شريك لها في الزواج، لا ينفرد دونها، ولا تنفرد دونه، ويجب أن يتولّى هو انشاء العقد، ولا ينعقد بعبارات المرأة قط، وإن كان لابد من رضاها.

وقال الحنفية: للبالغة العاقلة أن تنفرد باختيار الزوج، وإن تنشئ العقد بنفسها بكراً كانت أو ثيباً، وليس لأحد عليها ولاية، ولا حق الاعتراض، على شريطة أن تختار الكُفْء، وأن لا تتزوّج بأقل من مهر المثل.

وقال أكثر الامامية: ان البالغة الرشيدة تملك ببلوغها ورشدها جميع التصرفات من العقود وغيرها حتى الزواج، بكراً كانت أو ثيباً، فيصح أن تعقد لنفسها ولغيرها مباشرة وتوكيلاً، ايجاباً وقبولاً، فهي كالرجل دون فرق (٢٣٨).

وفي الطلاق قال أبو زهرة في الأحوال الشخصية / ص (٢٨٣):

(في المذهب الحنفي، يقع طلاق كل شخص، ما عدا الصغير والمجنون والمعتوه، فيقع طلاق الهازل والسكران من محرم والمكره).

وقال في ص (٢٨٦):

(من المقرر في المذهب الحنفي ان طلاق المخطئ والناسي يقع).

وقال في ص (٢٨٤):

(وقد وافق مالك والشافعي أبا حنيفة وأصحابه بالنسبة للهازل، وخالفه أحمد، فلم يقع طلاقه عنده).

وروى الامامية عن أهل البيت عليهم السلام:

«لا طلاق إلّا لمن أراد الطلاق».

وفي عدّة الزاني: قال الحنفية والشافعية وأكثر الامامية: لا تجب العدّة من

(٢٣٨) محمّد جواد مغنية / الفقه على المذاهب الخمسة / ص ٣٢٢.

الزنا، لأنّه لا حرمة لماء الزاني، فيجوز العقد على الزانية، ووطؤها، وإن كانت حاملاً، ولكن الحنفية قالوا: يجوز العقد على الحبلى من الزنا ولا يجوز وطؤها بل يدعها حتى تلد.

وقال المالكية: الواطئ بالزنا تماماً كالواطئ بالشبهة فتستبرئ بقدر العدّة، إلّا إذا أُريد إقامة الحد عليها، فإنّها تستبرئ بحيضة واحدة.

وقال الحنابلة: تجب العدّة على الزانية كما يجب على المطلّقة (المغني / ج ٦ / ومجمع الأنهر).

وفي الوصية للحمل (الجنين في بطن أُمّه) اختلفوا هل يشترط وجود الحمل حال الوصية أو لا؟

قال الامامية والحنفية والحنابلة والشافعية في أصح قولهم: يشترط ذلك، ولا يرث إلّا إذا علم أنّه موجوداً حين الوصية، ويحصل العلم بذلك إذا وضعته حيّاً في مدّة تقل عن ستة أشهر من تاريخ الوصية إذا كان لها زوج متمكّن من مقاربتها، وإذا ولدته لستة أشهر أو أكثر لم يعط الحمل شيئاً من الوصية لجواز تجدّده، الأصل عدم الحمل حين الوصية، وهذا القول يبنى على عدم جواز الوصية للمعدوم.

وقال المالكية: تصح الوصية للحمل الموجود فعلاً، ولمن سيوجد في المستقبل، حيث ذهبوا إلى جواز الوصيّة للمعدوم (تذكرة الحلي، والفقه على المذاهب الأربعة، والعدّة في فقه الحنابلة / باب الوصية)[٢٣٩].

هذه نماذج من الفقه المقارن اخترناها ليتضح للقارئ حقيقة الخلاف العلمي بين المذاهب الاسلامية وكيف أنّ المذاهب الاسلامية يلتقي فيها هذا المذهب مع ذاك، ويفترق عن غيره بغض النظر عن السنّية والشيعيّة. فها نحن

(٢٣٩) الشيخ محمّد جواد مغنية / الفقه على المذاهب الخمسة / ص ٤٦٦.

نجد الحنفي والشافعي يلتقيان مع الامامي في حين يختلفان مع الحنبلي والمالكي، أو يلتقي المالكي مع الامامي ويختلف مع بقية المذاهب، أو يلتقي الحنبلي مع الامامي ويختلف مع بقية المذاهب، وهذه حقيقة واضحة نلاحظها في كل موضوعات الفقه وأبوابه، فليس الخلاف الفكري خلافاً بين سنّة وشيعة، بل هو خلاف علمي ومنهجي بين المذاهب الخمسة، وعلينا أن نتحرّى الأدلة الشرعية، ونناقش نقاشاً علمياً لنتوصّل إلى الصواب، فان لله في كل قضية حكماً واقعياً واحداً.

إنّ الذين يحاولون أن يصوّروا الخلاف بين السنّة والشيعة بشكل يضع أحدهما في مواجهة الآخر، وانّهما صورتان متضادّتان، انّما يزيّفون الحقيقة، ويبتعدون عن الموضوعية والمنهج العلمي السليم، ويسعون لخدمة أعداء هذه الأمّة، وتمزيق وحدة المسلمين وتشتيت شملهم.

المسلمون أُمّة واحدة

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ . (آل عمران / ١٠٣ ـ ١٠٥)

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ . (الروم / ٣٠ ـ ٣٢)

﴿وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . الشورى / ١٠)

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ . (النساء / ٥٩)

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ . (المؤمنون / ٥٢)

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ . (الأنفال / ٤٦)

لقد دأب أعداء هذه الأُمّة منذ ولادتها وانشائها على يد الرسول الهادي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، دأب أعداؤها من وثنيين، ويهود، ومنافقين، وصليبيين، ومرتزقة متزلّفين على تمزيقها، واشاعة الفرقة والخلاف في صفوفها.

لقد واجهت الدعوة الاسلامية وقائدها الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الكيد والتخطيط من قبل اليهود والمشركين والمنافقين، وانتصرت عليه بفضل قيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتزام الصحابة الأبرار.

وتاريخ الصراع بين جيل الدعوة الاسلامية أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين المنافقين واليهود مليء بالحوادث والوقائع، التي شخّصت لنا استعمال خصوم الاسلام، وأعداء الأمّة، سلاح الفرقة والخلاف.

ومن يستقرئ القرآن الكريم، والسنّة النبويّة المطهّرة وأسباب نزول الآيات ويقف على تاريخ الدعوة الاسلامية الأوّل يلاحظ أنّ الرسالة حاربت هذا المرض الهدّام حرباً لا هوادة فيها، وحذّرت الأمّة الاسلامية من أن تقع بما وقعت به الأمم السابقة. فقد حذّر القرآن المسلمين من الفرقة والخلاف والتنازع، ودعاهم إلى الوحدة والتماسك، ورسم أمامهم صورة المأساة المترتبة على التنازع والخلاف بقوله:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا(*) وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ(**)﴾.

لقد حذّر القرآن من التنازع والخلاف الذي يقود الأمّة إلى المصير المؤلم، وهو الضعف، والجبن، والوهن، وذهاب قوتهم، ودولتهم، وان يكونوا شيعاً، وفرقاً متناحرة، متعادية، يضرب بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، شأنها في ذلك شأن المشركين والأمم الضالّة التي فرّقت كلمة الله، وعبثت بشرائع

(*) فتفشلوا: تجبنوا وتضعفوا.

(**) ريحكم: قوتكم.

الهدى، بعد أن وضحت لهم البينات.

إنّ القرآن الكريم يوجّه هذه الأُمّة لأن تجتمع على كلمة التوحيد:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾.

وتعتصم بحبل الله:

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

وأن هذه الأُمّة أُمّة واحدة:

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُم فاعبُدُونِ﴾.

وهكذا يضع القرآن عناصر توحيد الأُمّة أمامنا وهي:

١ ـ إنّ المعبود واحد، وإنّ الهدف هو توحيده وعبادته.

٢ ـ إنّ الهدف من الدِّين هو الاستقامة، والتوافق مع الفطرة الخيِّرة التي فطر الله الناس عليها.

٣ ـ إنّ على الأُمّة أن تحوّل طاقاتها إلى الدعوة إلى الاسلام، وأن تكون منّا أُمّة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتحمل رسالة الله إلى البشرية:

﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ﴾.

بدلاً من الفرقة والخلاف والتنازع، لئلّا تستهلك الأُمّة طاقاتها وقواها في الصراع الداخلي، فتضعف وتتمزّق، وتكون لقمة سائغة لأعدائها.

ويوجّه القرآن أنظارنا إلى أهم أسباب الخلاف ويثبّت الحلول المبدئية لها، فهو يوضّح لنا:

١ ـ إنّ الخلاف التشريعي والفكري يجب الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنّة

نبيّه:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾.

وينهانا عن أن تحوّل النزاع الفكري والتشريعي إلى مشكلة للفرقة والخلاف والعداوة، وشق وحدة الأُمّة:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

٢ ـ إنّ المسائل ذات الطبيعة السياسية والاجتماعية التي يمارس ولي الأمر الشرعي عادة تخطيطها، ويشرف على تنفيذها يجب طاعة ولي الأمر فيها، والرجوع إليه، لئلّا تتشتّت المواقف والآراء، وتتعدد المواقف السياسية والاجتماعية، ليكون للأُمّة موقف سياسي واجتماعي واحد.

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

ما زال ولي الأمر ملتزماً بأحكام الشريعة ومحققاً لمصلحة الأُمّة.

والمسلمون اليوم ـ ولله الحمد ـ بين أيديهم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، ولم تمسّه يد التحريف، فهو كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحجر / ٩)

وهم مجمعون على ذلك ومؤمنون به، وهم جميعاً موحّدون، يؤمنون بالله الواحد الأحد، الإله الفرد الصمد، كما وصف نفسه في كتابه الكريم، ومجمعون على تصديق نبيهم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم قبلة واحدة، وهم مجمعون على فرائض الاسلام، الصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثالها.

وهم مجمعون على حرمة الكبائر، كالزنا والخمر واللواط والقمار والسرقة وقتل النفس والكذب والسحت... الخ.

وليس بينهم من خلاف في الأُصول، والأُسس الايمانية، التي تجعل منهم أُمّة مسلمة، بل هم متّفقون عليها، لذا فانّ المسائل الاجتهادية، ووجهات النظر العلمية يجب أن تُحل عن طريق الرجوع إلى كتاب الله، والثابت من السنّة النبوية، فقد وضعهم رسولهم ﷺ على المحجّة البيضاء، ووضّح لهم الطريق، قال ﷺ :

«تركتكم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلّا هالك».

واليوم تمرّ الأُمّة الاسلامية بمرحلة تاريخية دقيقة، ومنعطف حضاري حاسم، فقد تعرّضت هذه الأُمّة لغارة وغزو صليبي حاقد عليها، منذ الحروب الصليبية، ولحد الآن.

فقد استهدف هؤلاء الأعداء من صليبيين وصهاينة وعملاء تابعين لهم، عقيدة هذه الأُمّة، ومصالحها، وأوطانها، فما زالوا طوال القرنين، التاسع عشر والعشرين، يفتكون بهذه الأُمّة، ويمزّقون أوصالها، ويشيعون التمزيق والخلاف السياسي، والفكري، والطائفي، والعنصري، والاقليمي بين صفوفها، إضافة إلى حربهم الفكرية ضدّ الاسلام، ومحاولتهم لاقصاء الاسلام، والقضاء عليه، وإشاعة الأفكار والنظريات المادية الملحدة، كالشيوعية والوجودية، والفكر الغربي الرأسمالي، والاشتراكي وغيره، وتكوين الأحزاب، والحكومات، والحكّام العملاء، الذين يتبنّون هذه النظريات، ويحاربون الاسلام ودعاته، والعاملين لرفع لوائه، وهداية الانسان وانقاذه من الظلم والاستعباد والسيطرة الاستكبارية الغاشمة. وكلما عمل المخلصون من أبناء هذه الأُمّة على توحيد صفوفها، واعادتها إلى رسالتها وحضارتها الاسلامية، وتطبيق النظم والقوانين الإلٰهيّة، عمل العملاء والجواسيس، وعناصر السوء، من الانتهازيين والمتلبّسين بزي العلماء على

نشر الفرقة والخلاف، وتشويه وجه الاسلام، لتثبيت عروش العملاء، وشد أزر الظلمة، وتمكينهم من ضرب المستضعفين، وامتصاص الخيرات، وبسط النفوذ الصهيوني، والرأسمالي، والشيوعي عليها.

فعلى أبناء هذه الأمّة أن يتسلّحوا بالوعي، وأن يدركوا حقيقة الذين ينشرون سموم الفرقة والخلاف بين المسلمين، عن طريق الدس، والكذب، والافتراء، أو عن طريق تصيّد الضعيف والمدسوس من الرّوايات والأفكار في كتب أصحاب المذاهب الاسلامية، والتي نجد العلماء والباحثين، قد أسقطوها من الحساب العلمي، واعتبروها من المدسوسات، والمسلمون جميعاً يعرفون ذلك، حتى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس في حجّة الوداع وقال:

«قد كثرت عليَّ الكذّابة وستكثر، فمن كذّب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث، فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به»(٢٤٠).

فاذا كنّا نعرف ذلك جميعاً فلمصلحة مَنْ ينبري في هذه الفترة الحرجة بالذات بعض المخرّبين إلى تأليف الكتب، واصدار النشرات التي تنشر الفرقة والخلاف بين المسلمين، وتكفّر بعضهم، وتزرع الضغائن والأحقاد في النفوس، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أدلّكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٢٤١).

إنّ ذلك ولا شك عمل تقف وراءه قوى الاستكبار العالمي، الذي يرتجف من الزحف الاسلامي، ومن تماسك أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، واتحادها، بما تملك من

---

(٢٤٠) الشيخ عبّاس القمّي / سفينة البحار / باب الكذب / ص ٤٧٤.

(٢٤١) أبو داود / سنن أبي داود / ج ٤ / باب افشاء السلام / ص ٣٥٠.

قوى، وطاقات بشرية، وطبيعية، وعقائدية عظيمة.

إنّ الحري بأصحاب الفكر والعلم والقلم، وبدعاة الاسلام، ومن يحملون همّ الأمّة والرسالة، والواعين المخلصين من أُمّة سيد المرسلين محمّد ﷺ، أن يقفوا بوجه هذا العمل الذي يزرع الفرقة والخلاف، وأن يقوموا بالدعوة إلى توحيد مواقف المسلمين، ورصّ صفوفهم، وحلّ الاشكالات التشريعية والفكرية بينهم، بالحجّة والدليل العلمي.

نقل ابن شهرآشوب في كتاب مناقب آل أبي طالب:

(إنّ امرأة أوصت بثلث مالها يتصدّق به عنها، ويحجّ عنها، ويعتق، فلم يسع المال ذلك، فسُئل أبو حنيفة، وسفيان الثوري، فقال كل واحد منهما: أنظر إلى رجل قد حجّ فقطع به فيقوى، ورجل قد سعى في فكاك رقبة فبقي عليه شيء، فيعتق ويتصدّق بالبقيّة(*). فسأل معاوية بن عمار(**) أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: ابدأ بالحجّ، فانّ الحجّ فريضة، وما بقي فَضَعْهُ في النوافل، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فرجع أبو حنيفة عن مقاله)(٢٤٢).

(وذكر أبو القاسم البغار في مسند أبي حنيفة، قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة، وقد سئل: من أفقه من رأيت؟

قال: جعفر بن محمّد، لما أقدمه المنصور بعث إليَّ، فقال: يا أبا حنيفة انّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له من مسائلك الشداد، فهيّأت له

(*) أفتيا بصرف المال لمساعدة من حجّ، ولم يكفه ماله، ومن أراد عتق رقبة، ولم يكفه ماله: أي أفتيا بالمساعدة على الحج، وفكّ الرقبة، ثمّ الصّدقة.

(**) من أصحاب الامام الصادق عليه السلام.

(٢٤٢) الخوارزمي / المناقب / الجزء الخامس / ص ٤٤ / نقلاً عن الشيخ حبيب آل إبراهيم، الحقائق في الجوامع والفوارق / ج ١ / ص ١٢٣ / ط ١٣٥٦ هـ.

أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) وهو بالحيرة، فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر (يعني المنصور)، فسلّمت عليه، فردّ إليّ، فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة الق على أبي عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعناكم، وربما تابعناهم، وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء، ثمّ قال أبو حنيفة: انّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس)[٢٤٣].

إنّ هاتين الحادثتين توضّحان لنا مدى الموضوعية والمنهجية العلمية في الحوار، وعرض القضايا، وتحرّي الحقيقة، وكيف جرى الحوار وأنتج الصواب.

إنّ مثل هذا المنهج هو المنهج الشرعي الذي أقرّه الاسلام، وجعله أساساً للوصول إلى الحقائق، فعلى هذا النهج فليجر العلماء الباحثون، وبهذه الطريقة فليلتزم الجميع.

ونجد مثالاً للتفكير العلمي النزيه: الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الشريف الذي أفتى لابناء المذاهب الاسلامية، الأحناف، والحنابلة، والمالكية، والشافعية بجواز العمل بمذهب الشيعة الامامية، كما يجوز العمل بغيره من المذاهب الاسلامية، فان ذلك كما صرّح بفتواه صحيح ومقبول، وتبعه على ذلك شيخ الأزهر، الدكتور محمّد محمّد الفحّام.

ومن المفيد جدّاً أن ننقل نص الفتوى التي أصدرها كل منهما:

---

(٢٤٣) نفس المصدر / ص ١٢٢.

الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة شيخ الأزهر في شأن جواز التّعبّد بمذهب الشيعة الامامية:

قيل لفضيلته:

إنّ بعض الناس يرى انّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية، ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على اطلاقه، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية مثلاً؟

فأجاب فضيلته:

١ ـ إنّ الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتّباع مذهب معيّن بل نقول: إنّ لكل مسلم الحق في أن يقلّد بادي ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره، أيّ مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ ـ إنّ مذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التّعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وان يتخلّصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته، بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى: يجوز لمن ليس أهلاً للنّظر والاجتهاد تقليدهم، والعمل بما يقرّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات. (محمود شلتوت)

وعقّب المرحوم الدكتور محمّد محمّد الفحّام شيخ الأزهر في زمانه على فتوى الامام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق قائلاً:

ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكـريم، فـخلّد في فتواه الصريحة الشجاعة، حيث قال ما مضمونه بجواز العمل بمذهب الشيعة الامامية، باعتباره مذهباً فقهياً اسلامياً، يقوم على الكتاب والسنّة، والدليل الأسدّ. والله أسأل أن يوفق العاملين على هذا النهج القويم في التعريف بـين الأُخوة في العقيدة الاسلامية الحق.

﴿وقُل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. (محمّد محمّد الفحّام)

وهكذا نجد أنّ طريق توحيد الأُمّة واضح ومفتوح أمام المخلصين من أبناء الاسلام، وعليهم أن يوحّدوا صفوفهم، وينبذوا الخلافات الجانبية والعصبيات، ويقتلعوا أسباب الفرقة، ويخضعوا وجهات النظر العلمية للبحث والمناقشة.

إنّنا ندعو أبناء الأُمّة الاسلامية في كل مكان أن يعوا الوضـع السـياسي والاجتماعي الحرج الذي يمرّ به المسلمون، وأن يعملوا على توحيد الصـف، ونبذ الفرقة، وينظر بعضهم إلى بعض بعين الود والأُخوّة، وأن يشخّصوا من يثير الخلافات والعصبيات بينهم، فينبذوهم، ويبتعدوا عنهم.

وأن يخضعوا وجهات النظر العلمية للحوار، والبحث العلمي من غير اثارة أو عصبية، لئلّا يستفيد أعداء الاسلام خصوصاً ونحن نـواجـه الصهـيونية والاستعمار الشرقي والغربي وعملاءهم.

وختاماً ندعو الله العليّ القدير أن يـوحّد صـفوف هـذه الأُمّـة، ويـبعد الدسّاسين، ومثيري الفتن بين أبناء الاسلام واعاقة العاملين من أجل تطبيق شريعة الله، والداعين إليه، فانّ في إضعاف صفوف المسلمين، وبثّ الفرقة بين قوى المجاهدين والداعين إلى الله نصرة لأعداء الله، وخدمة للمستكبرين.

﴿وقُل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

أُستفيدت هذه الملاحق من كتاب
سبيل النجاة في تتمّة المراجعات / الشيخ حسين الراضي

ملحق رقم (١)
آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(سورة الأحزاب، آية: ٣٣)

هذه الآية نزلت في خمسة وهم: محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

يوجد في:

صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبيّ ج ٢ / ص ٣٦٨ / ط عيسى الحلبي وج ١٥ / ص ١٩٤ / ط مصر بشرح النووي.

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣٠ / ح ٣٢٥٨ وج ٥ / ص ٣٢٨ / ح ٣٨٧٥ / ط دار الفكر وج ٢ / ص ٢٠٩ و٣٠٨ و٣١٩ / ط بولاق وج ١٣ / ص ٢٠٠ / ط آخر. مسند أحمد بن حنبل ج ١ / ص ٣٣٠ / ط الميمنية بمصر وج ٥ / ص ٢٥ / ط دار المعارف بمصر بسند صحيح. المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ / ص ١٣٣ و١٤٦ و١٤٧ و١٥٨ وج ٢ / ص ٤١٦. تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك عين الصفحات. المعجم الصغير للطبراني ج ١ / ص ٦٥ و١٣٥. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ١١ ـ ٩٢ حديث ٦٣٧ و٦٣٨ و٦٣٩ و٦٤٠ و٦٤١ و٦٤٤ و٦٤٨ و٦٤٩ و٦٥٠ و٦٥١ و٦٥٢ و٦٥٦ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٥٩ و٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٣ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٦٦ و٦٦٧

و٦٦٨ و٦٧١ و٦٧٢ و٦٧٣ و٦٧٥ و٦٧٨ و٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٦ و٦٨٩ و٦٩٠ و٦٩١ و٦٩٤ و٧٠٧ و٧١٠ و٧١٣ و٧١٤ و٧١٧ و٧١٨ و٧٢٩ و٧٤٠ و٧٥١ و٧٥٤ و٧٥٥ و٧٥٦ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٥٩ و٧٦١ و٧٦٢ و٧٦٤ و٧٦٥ و٧٦٧ و٧٦٨ و٧٦٩ و٧٧٠ و٧٧٤ / ط ١ بيروت. خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي / ص ٤ / ط التقدم العلمية بمصر / وص ٨ / ط بيروت / وص ٤٩ / ط الحيدرية. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ / ص ١٨٥ ح ٢٥٠ و٢٧٢ و٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٢. كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٥٤، و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٧٤ و٣٧٥ وقد صحّحه وص ٣٧٦ / ط الحيدرية وص ١٣ و٢٢٧ و٢٣٠ وصححه وص ٢٣١ و٢٣٢ / ط الغري. مسند أحمد ج ٣ / ص ٢٥٩ و٢٨٥ وج ٤ / ص ١٠٧ وج ٦ / ص ٢٩٢ و٢٩٦ و٢٩٨ و٣٠٤ و٣٠٦ / ط الميمنية بمصر. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي ج ٢ / ص ١٢ و٢٠ وج ٣ / ص ٤١٣ وج ٥ / ص ٥٢١ و٥٨٩. ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢١ و٢٣ و٢٤. أسباب النزول للواحدي / ص ٢٠٣ ط الحلبي بمصر. المناقب للخوارزمي الحنفي / ص ٢٣ و٢٢٤. تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٦، و٧ و٨ / ط ٢ الحلبي بمصر. الدرّ المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ و١٩٩. أحكام القرآن للجصّاص ج ٥ / ص ٢٣٠ / ط عبدالرحمن محمّد وص ٤٤٣ / ط القاهرة. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣٠١ ح ٣٤٥ وص ٣٤٨ و٣٤٩ و٣٥٠ و٣٥١. مصابيح السنّة للبغوي الشافعي ج ٢ / ص ٢٧٨ / ط محمّد عليّ صبيح وج ٢ / ص ٢٠٤ / ط الخشّاب. مشكاة المصابيح للعمري ج ٣ / ص ٢٥٤. الكشاف للزمخشري ج ١ / ص ١٩٣ / ط مصطفى محمّد وج ١ / ص ٣٦٩ / ط بيروت. تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي / ص ٢٣٣. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩ و٢٠ / ط دار الكتب في النجف وص ٨ / ط طهران. أحكام القرآن لابن عربي ج ٢ / ص ١٦٦ / ط مصر وج ٣ / ص ١٥٢٦ / ط آخر بمصر. تفسير القرطبي ج ١٤ / ص ١٨٢ / ط ١ بالقاهرة. تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣ و٤٨٤ و٤٨٥ /

ط ٢ بمصر. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ٨. التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج ٣ / ص ١٣٧. التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج ٢ / ص ١٨٣. الإصابة لابن حجر الشافعي ج ٢ / ص ٥٠٢ وج ٤ / ص ٣٦٧ / ط مصطفى محمّد وج ٢ / ص ٥٠٩ وج ٤ / ص ٣٧٨ / ط السعادة بمصر. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٤ / ص ٢٤٠ / ط مطبعة المشهد الحسيني بمصر وج ٢ / ص ٢٠٠ / ط آخر. الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي / ص ٨٥ و١٣٧ / ط الميمنية بمصر وص ١٤١ و٢٢٧ / ط المحمدية بمصر. منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج ٥ / ص ٩٦. السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٢٩ و٣٣٠ / ط المطبعة البهية بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥ / ط محمّد عليّ صبيح بمصر. إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار / ص ١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ / ط السعيدية وص ٩٧ و٩٨ / ط العثمانية وص ١٠٥ / ط مصطفى محمّد بمصر. فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٢٧٩. نور الأبصار للشبلنجي / ص ١٠٢ / ط السعيدية وص ١٠١ / ط العثمانية بمصر وص ١١٢ / ط مصطفى محمّد. احقاق الحق للتستري ج ٢ / ص ٥٠٢ ـ ٥٤٧. فضائل الخمسة ج ١ / ص ٢٢٤ ـ ٢٤٣. الاستيعاب لابن عبدالبر بهامش الاصابة ج٣ / ص ٣٧ / ط السعادة وج٣ / ص ٣٧ / ط مصطفى محمّد. ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٧ و١٠٨ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٤٤ و٢٦٠ و٢٩٤ / ط اسلامبول وص ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ و١٣٥ و١٩٦ و٢٢٩ و٢٦٩ و٢٧١ و٢٧٢ و٣٥٢ و٣٥٣ / ط الحيدرية. العقد الفريد لابن عبد ربّه المالكي / ج ٤ / ص ٣١١ / ط لجنة التأليف والنشر بمصر وج ٢ / ص ٢٩٤ / ط دار الطباعة العامرة بمصر وج ٢ / ص ٢٧٥ / ط آخر. فتح البيان لصديق حسن خان / ج ٧ / ص ٣٦٣ و٣٦٤ و٣٦٥. الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي / ج ٢ / ص ٢٤٨ / ط ٢. فرائد السمطين للحمويني الشافعي / ج ١ / ص ٣١٦ / ح ٢٥٠ وج ٢ / ص ٩ / ح ٣٥٦ و٣٦٢ و٣٦٤. عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين / ج ١ / ص ٢٨٥.

اختصاص أهل البيت
بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مشيراً إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين:
«اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا».
وقريب منه ألفاظ أُخرى:

راجع في ذلك: صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ / ح ٣٢٥٨ / وص ٣٢٨ / ح ٣٨٧٥ وص ٣٦١ / ح ٣٩٦٣، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ / ص ١٢٤ / ح ١٧٢ وج ٢ / ص ١٦ حديث: ٦٤٧ و٦٤٨ و٦٤٩ و٦٥٤ و٦٥٥ و٦٥٦ و٦٥٨ و٦٥٩ و٦٧٠ و٦٧٢ و٦٧٣ و٦٧٥ و٦٨٢ و٦٨٣ و٦٨٤ و٦٨٦ و٦٨٩ و٦٩١ و٦٩٢ و٦٩٣ و٧١٨ و٧١٩ و٧٢٠ و٧٢١ و٧٢٢ و٧٢٤ و٧٢٥ و٧٢٦ و٧٣١ و٧٣٢ و٧٣٤ و٧٣٧ و٧٣٨ و٧٣٩ و٧٤٠ و٧٤١ و٧٤٣ و٧٥٤ و٧٥٨ و٧٥٩ و٧٦٠ و٧٦١ و٧٦٥ و٧٦٨ / ط بيروت، صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل عليّ بن أبي طالب ج ١٥ / ص ١٧٦ / ط مصر بشرح النووي وج ٢ / ص ٣٦٠ / ط عيسى الحلبي وج ٢ / ص ١١٩ / ط محمّد عليّ صبيح بمصر، مناقب عليّ ابن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣٠٢ ح ٣٤٦ و٣٤٧ و٣٤٨ و٣٤٩ و٣٥٠، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٤ و١٦ / ط مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة وص ٤٦ و٦٣ / ط الحيدرية وص ٨ و١٥ / ط بيروت، المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢ / ص ١٥٠ و١٥٢ و٤١٦ وج ٣ / ص ١٠٨ و١٤٦ و١٤٧ و١٥٠ و١٥٨، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك نفس الصفحات.

تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٦ و٧ و٨، السيرة النبوية لزيني دحلان مطبوع بهامش السيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٣٠ / ط البهية بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥ / ط

محمّد عليّ صبيح بمصر. ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي / ص ٢٣ و ٢٤. تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣. مجمع الزوائد ج ٧ / ص ٩١ وج ٩ / ص ١٦٧ و ١٦٩. مشكاة المصابيح للعمري / ج ٣ / ص ٢٥٤. مسند أحمد ابن حنبل ج ١ / ص ١٨٥ وج ٣ / ص ٢٥٩ و ٢٨٥ وج ٦ / ص ٢٩٨ / ط الميمنية بمصر. أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ / ص ١٢ وج ٣ / ص ٤١٣ وج ٤ / ص ٢٦ و ٢٩ وج ٥ / ص ٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩. منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٥٣. التاريخ الكبير للبخاري ج ١ / ق ٢ / ص ٦٩ / تحت رقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ / ط سنة ١٣٨٢ هـ. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩. معالم التنزيل للبغوي الشافعي مطبوع بهامش تفسير الخازن ج ٥ / ص ٢١٣. الصواعق المحرقة لابن حجر / ص ١١٩ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ٢٢٧ / ط المحمدية وص ٧٢ و ٨٥ و ٨٧ و ١٣٧ / ط الميمنية بمصر. تفسير الخازن ج ٥ / ص ٢١٣. مرآة الجنان لليافعي ج ١ / ص ١٠٩. أسباب النزول للواحدي / ص ٢٠٣. الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ / ص ٥٠٣ وج ٤ / ص ٣٦٧ / ط مصطفى محمّد وج ٢ / ص ٥٠٩ وج ٤ / ص ٣٧٨ / ط السعادة. الاتحاف للشبراوي الشافعي / ص ٥. الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الاصابة ج ٣ / ص ٣٧ / ط السعادة. كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٥٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ٢٤٢ / ط الحيدرية وص ٥٥ و ٥٦ و ١١٧ / ط الغري. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ٨. تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص ٢٣٣ / ط الحيدرية وص ٢٤٤ / ط الغري. مصابيح السنّة للبغوي الشافعي ج ٢ / ص ٢٧٨ / ط محمّد عليّ صبيح وج ٢ / ص ٢٠٤ / ط الخيرية بمصر. المعجم الصغير للطبراني ج ١ / ص ٦٥. تفسير الفخر الرازي ج ٢ / ص ٧٠٠. إسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار / ص ٩٧ / ط العثمانية وص ١٠٤ / ط السعيدية بمصر. منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٩٦. ترجمة

الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ / ص ٢١ ح ٣٠ وص ١٨٤ ح ٢٤٩ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٧ و١٠٨ و١٩٤ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٤٤ و٢٨١ و٢٩٤ / ط اسلامبول وص ١٢٥ و١٢٦ و١٣٥ و٢٢٩ و٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٩١ و٣٣٧ و٣٥٢ و٣٥٣ / ط الحيدرية. تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ١٦٩، إحقاق الحق للتستري ج ٩ / ص ٢ ـ ٦٩، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء للإمام شرف الدين / ص ٢٠٣ ـ ٢١٧ طبع ملحقاً مع الفصول المهمّة / ط النعمان، الدرّ المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ و١٩٩، فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٢٧٩. فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٣٦٤ و٣٦٥، المناقب للخوارزمي الحنفي / ص ٦٠، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج ١ / ص ٧٥، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩ و٢٠ / ط النجف، السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي الشافعي ج ٣ / ص ٢١٢ / ط البهية بمصر وج ٣ / ص ٢٤٠ / ط محمّد عليّ صبيح بمصر، الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٤٨ / ط ٢، فرائد السمطين ج ١ / ص ٣١٦ / ح ٢٥٠ وص ٣٦٨ / ح ٢٩٦ وج ٢ / ص ١٤ / ح ٣٦٠.

أهل البيت
عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

بإقرار أم سلمة زوج النبيّ وهي خارجة عنهم.

راجع:

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ / ح ٣٢٥٨ وص ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ وص ٣٦١ / ح ٣٩٦٣، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ٢٤ / حديث: ٦٥٩

و٧٠٦ و٧٠٧ و٧٠٨ و٧٠٩ و ٧١٠ و٧١٣ و٧١٤ و٧١٧ و ٧٢٠ و٧٢٢ و ٧٢٤ و٧٢٥ و٧٢٦ و٧٢٩ و ٧٣١ و٧٣٧ و ٧٤٠ و٧٤٧ و٧٤٨ و٧٥٢ و٧٥٣ و ٧٥٤ و٧٥٥ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و٧٦٤ و ٧٦٥ و٧٦٨. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣٠٣ / ح ٣٤٧ و٣٤٩. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ٨. تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٤ و٤٨٥. السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٣٠ / ط البهية بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥ / ط محمّد عليّ صبيح. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ٢٣٨. إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / ص ٩٧ / ط العثمانية وص ١٠٤ / ط السعيدية. ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢١ و٢٢. أسد الغابة لابن الأثير ج ٢/ ص ١٢ وج ٣/ ص ٤١٣ وج ٤/ ص ٢٩. تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٧ و٨. ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص ١٠٧ و٢٢٨ و ٢٣٠ و٢٩٤ / ط اسلامبول وص ١٢٥ و٢٦٩ و ٢٧٠ و٣٥٢ / ط الحيدرية. كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٣٧٢ / ط الحيدرية وص ٢٢٧ و٢٢٨ / ط الغري. الدرّ المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨. فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٢٧٩. فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧/ ص ٣٦٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١/ ص ١٩ / ط النجف. الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٤٨ / ط ٢.

إقرار عائشة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام:

راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل أهل البيت ج ٢ / ص ٣٦٨ / ط عيسى الحلبي بمصر وج ١٥ / ص ١٩٤ / ط مصر بشرح النووي. شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ٣٣ / حديث: ٦٧٦ و٦٧٧ و٦٧٩ و ٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٢ و٦٨٣ و ٦٨٤. (وفي هذه الأحاديث الثلاثة اعترفت أن الآية لا تشملها) المستدرك للحاكم ج ٣/ ص ١٤٧ وصحّحه. تلخيص المستدرك للذهبي

بذيل المستدرك، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٥٤ و٣٧٣ و٣٧٤ / ط الحيدرية وص ١٣ و٢٢٩ و٢٣٠ وصححه / ط الغري، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ١٣٣، إحقاق الحق للتستري ج ٩ / ص ١٠، الدرّ المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ ـ ١٩٩، فتح القدير للشوكاني / ج ٤ / ص ٢٧٩، فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧/ ص ٣٦٥، ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢٤.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمرّ بباب عليّ وفاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يقول: «الصلاة يا أهل البيت».

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

يوجد ذلك في:

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ / ح ٣٢٥٩، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ١١ / حديث: ٦٣٧ و٦٣٨ و٦٣٩ و٦٤٠ و٦٤٤ و٦٩٥ و٦٩٦ و٧٧٣، الدرّ المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٩، تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٦، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج ٩ / ص ١٦٨، أسد الغابة لابن الأثير الشافعي ج ٥ / ص ٥٢١، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ / ص ١٠٤ / ح ٣٨، الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ٨، تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣ و٤٨٤، المستدرك للحاكم ج ٣/ ص ١٥٨ وصحّحه، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ١٩٣ و٢٣٠ / ط اسلامبول وص ٢٢٩ و٢٦٩ / ط الحيدرية، مسند أحمد بن حنبل ج ٣/ ص ٢٥٩ و٢٨٥ / ط الميمنية بمصر، منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٩٦، فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٣٦٥ / ط العاصمة بالقاهرة وج ٧/ ص ٢٧٧ / ط بولاق بمصر، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩.

ملحق رقم (٢)
آية المودّة

قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

(سورة الشورى، آية: ٢٣)

هذه الآية نزلت في قربى الرسول ﷺ وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

راجع:

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ١٣٠ / حديث: ٨٢٢ و٨٢٣ و٨٢٤ و٨٢٥ و٨٢٦ و٨٢٧ و٨٢٨ و٨٣٢ و٨٣٣ و٨٣٤ و٨٣٨، مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣٠٧ / ح ٣٥٢، ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢٥ و١٣٨، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي / ص ١٠١ و١٣٥ و١٣٦ / ط الميمنية بمصر وص ١٦٨ و٢٢٥ / ط المحمدية بمصر، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي / ص ٨ ط طهران وج ١ / ص ٢١ / ط النجف، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٩١ و٩٣ و٣١٣ / ط الحيدرية وص ٣١ و٣٢ و١٧٥ و١٧٨ / ط الغري، الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ١١، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج ١/ ص ١ و٥٧، تفسير الطبري ج ٢٥/ ص ٢٥ / ط ٢ مصطفى الحلبي بمصر وج ٢٥ / ص ١٤ و١٥ / ط الميمنية بمصر، المستدرك للحاكم ج ٣ / ص ١٧٢، الاتحاف للشبراوي الشافعي / ص ٥ و١٣، احياء الميت للسيوطي الشافعي بهامش الاتحاف / ص ١١٠، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ٢٤، نور الأبصار للشبلنجي / ص ١٠٢ / ط السعيدية وص ١٠٦ / ط العثمانية بمصر، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك ج ٣ / ص ١٧٢، تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ / ص ٤٠٢ / ط

مصطفى محمّد وج ٤ / ص ٢٢٠ / ط بيروت، تفسير الفخر الرازي ج ٢٧ / ص ١٦٦ / ط عبدالرحمن محمّد بمصر وج ٧ / ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦، تفسير البيضاوي ج ٤ / ص ١٢٣ / ط مصطفى محمّد بمصر وج ٥ / ص ٥٣ / أُفست بيروت علىٰ ط دار الكتب العربية بمصر، وص ٦٤٢/ ط العثمانية، تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ١١٢، مجمع الزوائد ج ٧ / ص ١٠٣، وج ٩ / ص ١٦٨، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ج ٨ / ص ٣٧٢، تفسير القرطبي ج ١٦ / ص ٢٢، فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٥٣٧ / ط ٢ وج ٤ / ص ٢٢ / ط ١ بمصر، الدرّ المنثور للسيوطي ج ٦ / ص ٧، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٦ و١٩٤ و٢٦١ / ط اسلامبول وص ١٢٣ و٢٢٩ و٣١١ / ط الحيدرية وج ١/ ص ١٠٥ وج ٢/ ص ١٩ و٨٥ / ط العرفان بصيدا، تفسير النسفي ج ٤ / ص ١٠٥، حلية الأولياء ج ٣ / ص ٢٠١، الغدير للأميني ج ٢ / ص ٣٠٦ ـ ٣١١، إحقاق الحق للتستري ج ٣ / ص ٢ ـ ٢٢ وج ٩ / ص ٩٢ ـ ١٠١ / ط ١ بطهران، فضائل الخمسة ج ١ / ص ٢٥٩، فرائد السمطين ج ١ / ص ٢٠ وج ٢/ ص ١٣ / ح ٣٥٩، عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين ج ١ / ص ٢٨٥.

ملحق رقم (٣)

قصّة الإطعام

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ـ إلى قوله ـ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً﴾.

(سورة الدهر، الآيات: ٥ ـ ٢٢)

هذه الآيات نزلت في: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بمناسبة قصّة صيامهم ثلاث أيام وتصدّقهم في تلك الثلاثة بطعامهم على المسكين واليتيم والأسير.

راجع ذلك في: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ٢٩٨ / حـديث ١٠٤٢ و١٠٤٦ و١٠٤٧ و١٠٤٨ و١٠٥١ و١٠٥٣ و١٠٥٤ و١٠٥٥ و١٠٥٦ و١٠٥٧ و١٠٥٨ و١٠٥٩ و١٠٦١، المناقب للخوارزمي الحـنفي / ص ١٨٨ ـ ١٩٤، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٣٤٥ ـ ٣٤٨ / ط الحيدرية وص ٢٠١ / ط الغري، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي / ص ٣١٢ ـ ٣١٧، مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٢٧٢ / ح ٣٠٢، نور الأبصار للشبلنجي / ص ١٠٢ ـ ١٠٤ / ط السعيدية بمصر وص ١٠١ ـ ١٠٢ / ط العثمانية بمصر، الجـامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج ١٩ / ص ١٣٠، الكشاف للزمخشري ج ٤ / ص ٦٧٠ / ط بيروت وج ٤ / ص ١٩٧ / ط مصطفى محمّد بمصر وج ٢ / ص ٥١١ / ط آخر، روح المعاني للآلوسي ج ٢٩ / ص ١٥٧، أسد الغابة لابن الأثير الجزري الشـافعي ج ٥ / ص ٥٣٠ ـ ٥٣١، أسباب النزول للواحدي / ص ٢٥١، تفسير الفخر الرازي ج ١٣ / ص ٢٤٣ / ط البهية بمصر وج ٨ / ص ٣٩٢ / ط الدار العامرة بمصر، تفسير أبي السـعود بهامش تفسير الرازي ج ٨ / ص ٣٩٣ / ط الدار العامرة، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي / ج ٤ / ص ١٦٧، فتح القدير للشوكاني ج ٥ / ص ٣٤٩ / ط ٢ وج ٥ / ص ٣٣٨ / ط ١ الحلبي بمصر، الدرّ المنثور للسيوطي، ج ٦ / ص ٢٩٩، ذخائر العقبى / ص ٨٨ و١٠٢، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ٨٨، العقد الفريد لابن عبد ربّه المالكي ج ٥ / ص ٩٦ / ط ٢ لجنة التأليف والنشر بمصر وج ٣ / ص ٤٥ / ط آخر، تفسير الخازن ج ٧ / ص ١٥٩، معالم التنزيل للبغوي الشافعي بهامش تفسير الخازن / ج ٧ / ص ١٥٩، الاصابة لابن حجر ج ٤ / ص ٣٨٧ / ط السعادة وج ٤ / ص ٣٧٦ / ط مصطفى محمّد بمصر، تفسير البيضاوي ج ٥ / ص ١٦٥ / ط بيروت على ط دار الكتب العربية الكبرى وج ٤ / ص ٢٣٥ / ط مصطفى محمّد وج ٢ / ص ٥٧١ / ط آخر، تفسير النسفي ج ٤ / ص ٣١٨، الغدير للأميني / ج ٣ / ص ١٠٧ ـ ١١١، إحقاق الحق للتستري ج ٣ /

ص ١٥٨ ـ ١٦٩ وج ٩ / ص ١١٠ ـ ١٢٣، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ٩٣ و٢١٢ / ط اسلامبول وص ١٠٧ و١٠٨ و٢٥١ / ط الحيدرية، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ / ص ٢١ وج ١٣ / ص ٢٧٦ / ط مصر بتحقيق محمّد أبو الفضل، الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٧٤ و٣٠٢ / ط ٢، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ١ / ص ٢٥٤، فرائد السمطين ج ١ / ص ٥٣ ـ ٥٦ / ح ٣٨٣.

ملحق رقم (٤)

آية الولاية

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. (سورة المائدة، الآيات: ٥٥ ـ ٥٦)

نزلت في الامام عليّ عليه السلام حين تصدّق وهو راكع.

راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ / ص ١٦١ / ح ٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ و٢١٩ و٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١ / ط بيروت، مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣١١ / ح ٣٥٤ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٧ و٣٥٨، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٢٢٨ و٢٥٠ و٢٥١ / ط الحيدرية وص ١٠٦ و١٢٢ و١٢٣ / ط الغري، ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي / ص ٨٨ و١٠٢، المناقب للخوارزمي الحنفي / ص ١٨٧، ترجمة الإمام عليّ ابن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ / ص ٤٠٩ / ح ٩٠٨ و٩٠٩، الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي / ص ١٠٨ و١٢٣، الدرّ المنثور للسيوطي ج ٢ / ص ٢٩٣، فتح القدير للشوكاني ج ٢ / ص

٥٣، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج ١ / ص ١٨١. الكشاف للزمخشري ج ١ / ص ٦٤٩. تفسير الطبري ج ٦ / ص ٢٨٨ و ٢٨٩. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي / ج ٢ / ص ٣٨٣. تفسير القرطبي ج ٦ / ص ٢١٩ و ٢٢٠. التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج ١ / ص ٢١٠. فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٣ / ص ٥١. أسباب النزول للواحدي / ص ١٤٨ / ط الهندية وص ١١٣ / ط الحلبي بمصر. لباب النقول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين / ص ٢١٣. تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي / ص ١٨ وص ٢٠٨ / ط النجف وص ١٥ / ط الحيدرية. نور الأبصار للشبلنجي ص ٧١ / ط العثمانية وص ٧٠ / ط السعيدية بمصر. ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي / ص ١١٥ / ط اسلامبول وص ١٣٥ / ط الحيدرية وج ١ / ص ١١٤ وج ٢ / ص ٣٧. تفسير الفخر الرازي ج ١٢ / ص ٢٠ و٢٦ / ط البهية بمصر وج ٣ / ص ٤٣١ / ط الدار العامرة بمصر. تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ٧١ / ط احياء الكتب. أحكام القرآن للجصاص ج ٤ / ص ١٠٢ / ط عبدالرحمن محمّد. مجمع الزوائد ج ٧ / ص ١٧. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ٨٦ ـ ٨٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ / ص ٢٧٧ / ط مصر بتحقيق محمّد أبو الفضل وج ٣ / ص ٢٧٥ / ط ١ بمصر. الصواعق المحرقة لابن حجر / ص ٢٤ / ط الميمنية وص ٣٩ / ط المحمدية. أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ / ص ١٥٠ / ح ١٥١ / ط بيروت. تفسير النسفي ج ١ / ص ٢٨٩. الحاوي للفتاوي للسيوطي ج ١ / ص ١٣٩ و ١٤٠. كنز العمّال ج ١٥ / ص ١٤٦ / ح ٤١٦ وص ٩٥ / ح ٢٦٩ / ط ٢. منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٣٨. جامع الأصول ج ٩ / ص ٤٧٨. الرياض النضرة ج ٢ / ص ٢٧٣ و٣٠٢. إحقاق الحق ج ٢ / ص ٣٩٩. الغدير للأميني / ج ٢ / ص ٥٢ وج ٣ / ص ١٥٦. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي / ص ٣١ / ط طهران وج ١ / ص ٨٧ / ط النجف. معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ج ٢ / ص ٥٥. فرائد السمطين ج ١ / ص ١١ و ١٩٠ / ح ١٥٠ و١٥١ و١٥٣.

الفهرس